الذات المبدعة في مواجهة الجائحة:

تجليات جائحة كورونا في نماذج روائية عربية

بقلم الدكتور

إبراهيم بن عبدالرحمن الفريح

أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثالث (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الذات المبدعة في مواجهة الجائحة:
تجليات جائحة كورونا في نماذج روائية عربية

إبراهيم بن عبدالرحمن الفريح

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : ialfraih@ksu.edu.sa

الملخص

شكّلت جائحة فيروس كورونا (كوفيد-١٩) حدثًا عالميًا بالغ التأثير في حياة الإنسان وفي علاقته بذاته وبمجتمعه والعالم من حوله، وحفّز هذا الحدث الجلل التأمل وإعادة التفكير ومقاربة الجائحة وآثارها من جوانب مختلفة. وتمثّل الرواية بطبيعتها التخييلية وبانفتاحها اللامتناهي جنسـاً أدبيًا مهمًا في تأثرها بالسياق الواقعي وتفاعلها معه وإعادة بنائه. تسعى هذه الدراسة وفق مقاربة موضوعاتية إلى كشف تجليات جائحة كورونا في الرواية العربية بدراسة مجموعة من النماذج الروائية التي تناولت هذه الجائحة وتفاعلت معها؛ لرصد تجلياتها السردية وكشف خصوصيتها. وتستعين الدراسة بمقاربات نظرية ناقشت حضور المرض والأوبئة في الأدب بما يُسهم في رصد التجليات ويعزّز فهمها وتأويلها. وخلصت الدراسة إلى بيان انشغال الروايات بالجائحة والسعي إلى تصوير آثارها على الإنسان وعلاقته بنفسه وبالآخرين وبالكون، متضمنة تأثيرًات في المتن والبناء الروائي.

الكلمات المفتاحية : أدب الأوبئة، كورونا، الرواية، المرض، كوفيد-١٩

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

The creative self in the face of the pandemic: Manifestations of the Corona pandemic in Arab novel models

Ibrahim Abdulrahman Alfraih

Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, King Saud University , Kingdom of Saudi Arabia.

Email: ialfraih@ksu.edu.sa

Abstract

The Coronavirus (Covid-19) pandemic constitutes a global event that has a significant impact on people's lives, their relationships with themselves, their society and the universe. This major event stimulated contemplation, rethinking, and approaching the pandemic from different angles. The novel, considering its imaginative nature and infinite openness, represents an important literary genre in being affected by, interacting with, and reconstructing the real context. This study seeks, according to a thematic approach, to reveal the manifestations of the Coronavirus pandemic in the Arab novel by studying a group of novelistic samples that dealt with this pandemic and interacted with it, in order to discern its narrative manifestations and reveal its specificity. The study uses theoretical approaches that discussed diseases and epidemics in literature, which contributes to discering, enhancing and interpreting the manifestations. The study concluded by showing the novels' preoccupation with the pandemic and seeking to portray its effects on human and their relationships with themselves, with others, and with the universe, influencing the text and the narrative structure .

Keywords: Pandemic Literature, Coronaviruses, Novel, Disease, Covid-19 .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

تُعدُّ جائحة فيروس كورونا (كوفيد-١٩) واحدة من تلك الأحداث الكبرى المؤثّرة في التاريخ الإنساني، فأوقات الأزمات كالحروب والكوارث والأوبئة يمتدُّ تأثيرها ليكون مفصليًا في تشكيل حياة الإنسان. وكما يقول الناقد الفرنسي أنطوان كومبانيون: "الوباء مثل الحرب يُعيدك إلى الأساسيات"،[١] ثم يُؤكِّد أنَّ وباء كورونا تذكيرٌ مؤلم بالواقع، فهو يُعيدنا إلى حقيقة الموت؛ لأننا لم نعد نرى الموت، نخفيه في دور العجزة، وننفيه قدر المستطاع، واليوم لدينا فرصة سانحة للتفكير في حالات وفياتنا التي يحجبها العالم الحديث عنَّا.[٢] ولعلَّ الجانب البارز في جائحة فيروس كورونا هو امتداد أثرها لتشمل البشر بمختلف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم ومواطنهم الجغرافية وأوضاعهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ إذ أعلنت منظمة الصحة العالمية رسميًا أنَّ هذا الوباء جائحة عالمية في ١١ مارس ٢٠٢٠م.

تُبرز بعض المشاهد حالة الهلع العامة، والاضطراب، والفزع التي أفرزتها الجائحة، آخذين في الاعتبار تلك المظاهر والآثار المرتبطة بها مثل: حظر التجول، والتباعد الاجتماعي، والحجر الصحي، والإجراءات الاحترازية، وما حملته من آثارٍ سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وصحية. جاءت مواجهةُ الأزمة التي تسبَّبت بها هذه الجائحة إذن فرصة سانحة

---

(١) الأدب في مواجهة الأوبئة، كومبانيون، ترجمة: عبده حقي (٨٦).

(٢) انظر: المرجع السابق. وهناك اختلاف طفيف في الأصل عن الترجمة، انظر أصل المقالة في: Compagnon, La littérature face aux pandémies.

لإعادة اكتشاف الكون، والطبيعة، بل واكتشاف الذات والعلاقة مع الآخرين، وفي أقطار مختلفة كانت الجائحة فرصة لإعادة تقييم المنظومة الصحية والاجتماعية والاقتصادية الحالية وبيان هشاشتها. وبرزت أسئلة فكرية وأخلاقية وفلسفية وتساؤلات عن معنى الجائحة وقيمة حياة الإنسان وقيم المساواة والعدالة الاجتماعية والعلاقة بالآخرين، بما يكشف عن الجوانب الاجتماعية والفكرية لهذه الجائحة بجانب معانيها المادية والصحية.(١) تلفت الفيلسوفة والمنظّرة الأمريكية جوديث بتلر الانتباه إلى أثر الجائحة في أسئلة المساواة والعدالة الاجتماعية، مشيرة إلى أنَّ "الفيروس المستجد، بما هو واقعة طبيعية، لا يمتلك القدرة على التمييز بين الفقراء والأغنياء، غير أنَّ الموازين الاجتماعية والاقتصادية الظالمة التي تتأسس عليها المنظومة الحياتية المعاصرة، ستكون سببًا رئيسًا في حمل المرض على فعل التمييز"،(٢) وتؤكد أنَّ الفيروس بصورة غير مباشرة يدعونا إلى إعادة التفكير في النظام القائم.(٣)

يحمل المرض والوباء هوية اجتماعية بأثره على الفرد وعلى البيئة والعلاقات الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان ويتأثر بها، بما يستدعي التفكير في أبعاد مختلفة،(٤) منها الثقافية والأدبية، والحوادث الكبرى، مثل هذا الوباء "سينتج بالتأكيد روايات. إنَّ أي شيء يخلخل عاداتنا جيدٌ للأدب".(٥) والرواية بطبيعتها التخييلية وانفتاحها وتماسّها مع الواقع تُعدُّ

(١) انظر: ماذا قال الفلاسفة حول جائحة فيروس كورونا، المغربي.
(٢) المرجع السابق، (١٦٩). وانظر أصل المقالة في: Butler, "Capitalism has its Limits"
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) انظر: الفلسفة والجائحة والمرض، بوطيب، (٩).
(٥) الأدب في مواجهة الأوبئة، (٨٦).

أقرب الفنون إلى "عمليات الوعي الذاتي بمعناها الجمعي والفردي، لما تتيحه من رؤى وعي العالم ومقاربة الواقع."[١] وهذا ما يستدعينا إلى دراسة حضور الجائحة في نماذج من الرواية العربية لاستجلاء توظيف مبدعيها لها ومقاربتهم إياها أعمالهم الإبداعية موضوع الدراسة.

والدراسة الحالية بجانب استعراضها لتصوير الوباء في الأدب وتجلية أبرز الإسهامات النظرية لمقاربته، وتسليطها الضوء على حضور الأوبئة في الأدب العربي قبل جائحة كورونا، فإنها تهدف إلى:

- الكشف عن علاقة الوباء بالذات المبدعة والمكان المألوف والطبيعة.
- رصد رؤية المبدع للجائحة وارتباطها بالموت والحياة.
- إبراز النظرة إلى الوباء والعلاقة برؤية العالم.
- توضيح تحديات سرد الوباء وعلائقها الدلالية.

رغم وجود عددٍ من الدراسات في اللغة الإنجليزية التي تناولت ثيمة الوباء في الرواية،[٢] إلا أنَّ الرواية العربية لم تحظ بدراسات مركّزة وعميقة تعالج هذا الموضوع. ويمكن تفسير هذا الغياب بتفسيرين أساسيين: الأول

---

(١) الجنس الحائر: أزمة الذات في الرواية العربية، أبو هيف، (٢١).

(٢) منها على سبيل المثال:

Nineteenth-Century Narratives of Contagion: Allen Conrad Christensen; "Overwhelming the Medium: Fiction and the Trauma of the Pandemic Influenza in 1918", Catherine Belling; Pandemic Influenza in Fiction: A Critical Study. Jefferson, NC: McFarland, Charles De Paolo; Viral Modernism: The Influenza Pandemic and Interwar Literature, Elizabeth Outka.

ـ ويلاحظ أن كثيرًا من هذه الدراسات ارتبطت بالأنفلونزا الإسبانية التي قضى منها ما يزيد على ٢٠ مليون إنسان.

أنَّ المنجزات السردية عن الوباء لم تُشكّل ظاهرة جليّة متراكمة تستدعي النقَّاد إلى تحليلها وفحص أبعادها. والثاني، وهو مرتبط بالأول، أنَّه لم يمرَّ في التاريخ الحديث وباء بمثل انتشار كورونا الجغرافي، يتماس مع الحياة العامة ويُؤثِّر في الناس –بما فيهم الأدباء والنقّاد– تأثيرًا ملموسًا مزلزلًا. بيد أنَّه يمكن التنبؤ بملامح ظهور سيلٍ من الأعمال الأدبية والدراسات النقدية قريبًا استجابة لجائحة كورونا وما أفضت إليه من أثرٍ هائل على مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وما أحدثته من تغيير في حياة الإنسان. ومن الدراسات الحديثة التي تستدعي الانتباه دراسة ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية: دراسة مقارنة التي سعى فيها الباحث إلى مقارنة نصوص روائية مصرية تناولت موضوع الوباء بنصوص عالمية كلاسيكية عالجت الموضوع ذاته، راميًا إلى مقاربة الأنساق المضمرة التي تكشف عن الدستوبيا في النصوص موضع الدراسة. والدراسة تتناول نصوصًا في مرحلة تسبق كورونا، لكن يبدو أنَّ تأثير كورونا جَليٌّ في حثّ الباحث على العودة إلى مراحل تاريخية سابقة وإعادة اكتشاف ثيمة الوباء فيها. ويتجلى أنَّ ثيمة الوباء وُظّفت في هذه النصوص "رمزًا، أو قناعًا، أو معادلًا موضوعيًا لهدف آخر. "[١]

إنَّ الأثر الجلل لجائحة كورونا يكشف عن كونها مرحلة تاريخية مفصلية، وهو ما حدا ببعض المفكّرين والمثقفين للنظر إلى مرحلة جائحة كورونا على أنَّها تفصل بين عالمين: ما قبل كورونا وما بعدها. وضمن هذا السياق اتجهت بعض الإسهامات والنقاشات والجهود الفكرية إلى محاولة

(١) ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية: دراسة مقارنة، القللي، (٩٤٣).

استشراف عالم ما بعد كورونا.[١] ويبرز في السياق العربي كتاب لون الغد: رؤية المثقف العربي لما بعد كورونا الذي رصد فيه الأديب الكويتي طالب الرفاعي رؤئ وأفكار ثمانية وثمانين مثقفًا عربيًا للمرحلة القادمة من نواحي سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، ما يكشف عن مدى الأثر العميق الذي حملته الجائحة في حياة الإنسان المعاصر ويبّين جوانب من تفاعله معه.[٢]

وتمتاز الدراسة الحالية بجدة الموضوع الذي تتناوله؛ فلم نجد دراسات تعالج الجائحة في الرواية العربية، فهي تسعى إلى الإضافة العلمية بمقاربتها لنماذج روائية عربية حديثة تُصوّر جائحة كورونا.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في جوانب عديدة يمكن إيجازها في: أولًا، الموضوع الذي تعالجه من حيث كونه موضوعًا للمقاربة الثقافية والكتابة الأدبية، وهو موضوع ما يزال لم يتلقَ دراسات علمية في السياق العربي، كما أسلفنا، ثم لأهمية جائحة كورونا وأثرها الهائل على حياة الإنسان ومدى فهمه لذاته وعلاقته بالآخرين وبالعالم الذي يعيش فيه، ولكونها تقارب نصوصًا أدبية صادرة حديثًا، لم تحظَ بمقاربة أكاديمية معمّقة، إضافة إلى المنهج الموضوعاتي الذي تُوظّفه والإسهامات النظرية النقدية التي تستعين بها لفهم النصوص وتأويلها بما يكشف عن وعي كتابها وموقفهم تجاه الجائحة.

---

(١) ماذا قال الفلاسفة حول جائحة فيروس كورونا، وانظر قائمة المقاربات الفلسفية والفكرية في: Sopa De Wuhan Amadeo.

(٢) وانظر كذلك: الإنسانيات والرقميات وعصر ما بعد كورونا، كرَّام.

تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة النماذج الروائية المختارة مقاربة موضوعاتية، تقوم على تتبّع ثيمة/موضوع الوباء (وباء كورونا) بوصفها ثيمة رئيسة مهيمنة في النصوص موضوع الدراسة، متوسّلة في مقاربتها التحليلية بالنقد الموضوعاتي (Thematic Criticism) الذي يُعنى بتتبع الثيمة المطّردة وبرصدها؛ لكونها تُشكّل شبكة من الدلالات تتكرر عند كاتب ما في عمله الأدبي.(١) يؤكِّد سعيد علوش أنَّ البحث النقدي الموضوعاتي "هو بحث عن النقاط الأساسية التي يتكون منها معنى العمل الأدبي. ومقاربة الكشف عن هذه النقاط الحساسة التي تجعلنا نلمس تحولاتها، وندرك روابطها، في انتقالها من مستوى تجربة معينة إلى أخرى شاسعة."(٢) ويبرز ضمن هذا السياق مفهوم الاطرادية الذي يَشْغَل وظيفة نوعية في النقد الموضوعاتي؛ لكون هذه الموضوعات "تقوم بمهمة تنسيق الحياة الخفية في العمل الإبداعي".(٣) فيُنظر إلى الاطرادية على أنَّها المقياس في تحديد الموضوعات –كما يقرّر جان بيار ريشار– "فالموضوعات الكبرى في عمل أدبي ما، هي الموضوعات التي تشكّل المعمارية غير المرئية « l'invisible architecture» لهذا العمل. وبذا فهي تزوّدنا بمفتاح تنظيمه وهذه الموضوعات هي التي تتطوّر على امتداد العمل الأدبي، وهي التي نقع عليها عياناً بغزارة استثنائية."(٤) وتتفرَّع عن هذه الثيمة الرئيسة ثيمات أخرى،

(١) انظر: مناهج النقد الأدبي، وغليسي، (١٤٩). وعن النقد الموضوعاتي، انظر على سبيل المثال: النقد الموضوعاتي، علوش، المنهج الموضوعي: نظرية وتطبيق، حسن، سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، لحمداني.

(٢) النقد الموضوعاتي، (١٢).

(٣) المنهج الموضوعي، (٤١).

(٤) المرجع السابق.

تعالجها الدراسة الحالية في مباحثها من خلال إجراءات نقدية تنطلق من قراءة متأنية فاحصة للنصوص الأدبية موضوع الدراسة؛ لرصد الثيمات المتناثرة وورودها الظاهر والمضمر للوصول إلى البنية الجامعة والخيط الذي يربطها ببعضها بما يُبيّن تماسكها الباطن ويوضّح العلاقات بين عناصرها المبعثرة، إذ إن "الناقد يحاول الوقوع عليها من خلال الوحدة الكلية العضوية للنص المدروس"،(١) وهو ما يكشف بدوره عن وعي الكاتب وموقفه تجاه العالم؛ لكون الأدب تجربة روحية لوعي مبدعه.(٢) وإجراءات الموضوعاتية تُوظّف كذلك ما هو خارج النص عند اللزوم لفهم موقف الكاتب؛ فالعمل الإبداعي حاضنٌ لأفكار المبدع الواعية واللاواعية على السواء.(٣)

ويتسم النقد الموضوعاتي بالبينية والاتساع والانفتاح على مناهج ومقاربات متعددة، ومبدأ الحرية هذا الذي يتمتّع به ممارس النقد الموضوعاتي -كما يشير حميد لحميداني- "هو الشيء الوحيد الثابت في هذا المنهج"،(٤) وهو بدوره ما يمنح هذه الدراسة الحرية للاستعانة بإسهامات نظرية نقدية تأسيسية تتصل بالمرض والوباء، كما نُوصّل في التمهيد بالإشارة إلى إسهامات سوزان سونتاج وفرجينيا وولف وآخرين، وبالسعي إلى استثمارها في الوقوف على دلالات الأعمال الأدبية وتعزيز فهمها وتأويلها.

---

(١) مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي، بارجاس، وآخرون، ترجمة: رضوان ظاظا، (١٠٧).
(٢) انظر: المرجع السابق، (١١٠).
(٣) انظر: المرجع السابق، وسحر الموضوع، (٤٥) و (٥٢-٥٣).
(٤) سحر الموضوع، (٢٨).

وتجدر الإشارة ضمن هذا السياق أنَّ الموضوعاتية تتجاوز التمييز النقدي التقليدي بين المضمون والشكل؛ بل هي تلغيها إلغاءً تامًا "ليصبح إنتاج الصورة هو في ذاته إنتاجًا للدلالة في إطار نظام من نظم التمثيل".(١) وعليه فإنَّ هذه الدراسة في تعرضها لجوانب تتصل بالشكل -خاصة في المبحث الرابع- ليست تتغيًّا دراستها لذاتها، بل بما تحمله من أثرٍ في توليد الدلالة وتكوينها، وفي علاقاتها؛ إذ إن العمل الأدبي "تفتح متزامن لبنية ما ولفكر ما (...)، مزيج من شكل وتجربة يتضامن تكونهما وولادتهما".(٢)

والأعمال موضوع الدراسة هي رواية حمى السرد للكاتب السعودي خالد اليوسف، وربيع الكورونا لليبي أحمد الرشراش، وغربة المنازل للمصري عزَّت القمحاوي. واختيرت هذه الأعمال ليس فقط لكون جائحة كورونا تمثّل ثيمة مركزية فيها، بل ولتفاوت تمثيلاتها وتناول الروائيين لها؛ بما يكشف عن أنساق مختلفة، ويعرض نماذج متنوعة تُسهم في توضيح التجليات المختلفة لحضور الجائحة في هذه الروايات العربية المبكّرة عنها، وتكشف عن جوانب متنوعة فيها وفي رؤية مبدعيها. ولا شك أنَّ هذه أعمال مبكرة ربما لم يتسنَّ لكتَّابها أخذ المسافة الكافية زمنيًا لرؤية الجائحة من خارجها، لكنّها للسبب ذاته تُعدُّ مهمة في سياقها وزمن صدورها بما تُصوّره.

---

(١) التفكير البيني: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها. رمضان، (١٤١)، وانظر: مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي، بارجاس، وآخرون، ترجمة: رضوان ظاظا، (٩٩)، ومدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي، بارجاس، وآخرون، ترجمة: الصادق قسومة، (٢٢١).

(٢) مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي، ترجمة: رضوان ظاظا، (٩٨).

يتبع هذا المدخل الذي يتضمَّن تعريفًا بموضوع البحث ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة والإضافة العلمية عليها، ومنهجه، وتبويبه، تمهيدٌ موجز يتعرَّض إلى جائحة كورونا وسرديات الوباء، مقاربًا المفهوم وقضايا التمثيل ليكون مهادًا نظريًا للدراسة، ثم قسمٌ يستعرض بإيجاز حضور الوباء في الأدب العربي. يتلو ذلك أربعة مباحث تستكشف تجليات جائحة كورونا في المنجزات السردية العربية موضوع الدراسة ورؤية مبدعيها:

- المبحث الأول: اغتراب الذات والمكان.
- المبحث الثاني: العدو الخفي والموت المتربص.
- المبحث الثالث: مآزق التسمية .. الوباء الأجنبي القادم من بعيد.
- المبحث الرابع: تحديات سرد الوباء.

ثم خاتمة متضمّنة لأبرز نتائج الدراسة وتوصياتها، وثبت بالمصادر والمراجع.

التمهيد

يسعى هذا القسم من الدراسة إلى تسليط الضوء على جوانب نظرية تتصل بالوباء، مستعرضًا ومناقشًا بعض الإسهامات الفكرية والنظرية المهمة التي ترفد فهمنا للأوبئة وحضورها في الأدب، وهي بدورها تساعد على فهم تجليات جائحة كورونا في النصوص الأدبية التي نتناولها لاحقًا. نستهلُّ بتوضيح استخدام بعض المصطلحات في هذه الدراسة، ثم بمناقشة حضور الوباء في الأدب حضورًا حقيقيًا واستعاريًا، وهو أمرٌ بالغ الأهمية بما يكشف عنه من تشكُّلات فكرية وأدبية تُوثِّر في تلقي هذا الأدب وفهمه والتفاعل معه، ويتبع ذلك مناقشة فكرة آخرية الوباء وغربته، بما تحمله من بنى فكرية تُشكِّل فهم الوباء والذات والعلاقة مع الآخر، ثم يختتم هذا القسم بمناقشة إشكالية مراوغة تمثيل الوباء والمرض في الكتابة الأدبية. وقبل الانتقال إلى تحليل النصوص الروائية موضع الدراسة، نتعرض إلى بعض مظاهر حضور الأوبئة (قبل جائحة كورونا) في الأدب العربي، مستعرضين نماذج من مضامينها وتشكُّلاتها.

١- جائحة كورونا وسرديات الوباء: تأملٌ في المفهوم وقضايا التمثيل

- **تحديد المصطلحات**:

شاعت مصطلحات عديدة عند الحديث عن فيروس كورونا، ما يستدعي توضيحًا لمصطلحين مهمين يرد استخدامهما في هذه الدراسة: (وباء) و(جائحة). تأتي كلمة وباء مقابلًا للمفردة الإنجليزية Epidemic: وهو المرض المعدي سريع الانتشار الذي يصيب مجموعة من الناس، أما جائحة فتأتي مقابلًا لكلمة Pandemic، وهي تحمل، بالإضافة إلى المعنى

السابق، صفة الانتشار العالمي وتأثيرها على عددٍ أكبر من الناس.(١) وتأتي كلمة وباء في اللغة العربية للدلالة على المرض العام، وترتبط الجائحة بالنازلة العظيمة المُذهبة للمال أو النفس.(٢)

وكانت منظمة الصحة العالمية قد صنّفت فيروس كورونا (كوفيد-١٩) جائحة في ١١ مارس ٢٠٢٠. ونظرًا لهذا التداخل في استخدام المصطلحين، وكثرة استخدامهما المتبادل، فسنستخدمهما في هذه الدراسة على أنَّهما مترادفان، ليس فقط لتداخل معناهما، ولكن أيضًا لترادفهما في النصوص الروائية موضع الدراسة، إضافة إلى شيوع مصطلح الأوبئة الذي يتضمنهما. ويقصد بسرديات الوباء (أو الأوبئة) في هذه الدراسة: النصوص الأدبية التخييلية التي تتعالق مع الأوبئة وتُصوّرها.

ورغم أنَّ الاسم المتداول هو فيروس كورونا (كوفيد-١٩)، إلا أنَّه ورد في بعض الخطابات السياسية توصيفه بالفيروس الصيني أو فيروس ووهان، بما يكشف عن دوافع أيدولوجية، واستخدام سياسي يهدف إلى توجيه اللوم إلى الصين في تفشي الجائحة.(٣) ويكشف هذا الموقف عن تكريس لنظرية المؤامرة التي تحقق مكاسب على مستويات مختلفة وتلقى رواجًا عند بعض الفئات. وهي قضية مهمة سنناقشها لاحقًا.

---

(١) انظر: Dictionary of Medical Terms, (129, 288).
وانظر أيضًا: معجم مصطلحات كوفيد-١٩، الجحمري وآخرون.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة وبأ (١/ ١٨٩-١٩٠) ومادة جوح (٢/ ٤٣١-٤٣٢).

(٣) على سبيل المثال، كرّر الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب وصف الفيروس بالصيني بما يوضح الدوافع السياسية والأيديولوجية في استخدام هذا الوصف، ولمزيد تفصيل، انظر: مقاربة معرفية لمعجم مصطلحات كوفيد-١٩، بين ضوابط المصطلح ومقتضيات المفهوم، خليف، (٣٣٠-٣٣٢).

- **الوباء في الأدب بين الحقيقة والاستعارة**:

تحضر تمثيلات الوباء والمرض عمومًا في السرد متفاوتة بين الحقيقة والمجاز، وإن كانت في أكثرها تميل إلى المجاز؛ إذ يُمكّن الاستخدام المجازي للوباء والمرض من تشكيل صور توضيحية خلّاقة ورمزية، تُسهم بدورها بفعالية في توضيح مدى الإشكالات السياسية أو الاجتماعية المتناولة وآثارها، وتعمّق الشعور بها. وتؤدي الاستعارات أدوارًا بالغة الأهمية في تحفيز البعد التصويري البشري،(١) خصوصًا مع تجربة المرض التي لا تخلو من إحالات إلى الجسد بما يملكه من ذاتية وحميمية وقرب ووعي، وبما لهذه التجربة من أثر محسوس في حياة الإنسان. ولعلَّ هذا قاد إلى سعة الاستخدام الاستعاري للوباء والمرض في الأدب، إذ يُمثّل المرض والوباء أعراضًا لأشياء أخرى مختلفة وأحيانًا أكثر عمقًا، وتصبح استعارة لأمراض اجتماعية وثقافية أوسع. في كتابها المؤثر المرض كاستعارة، تلفت الناقدة والمنظّرة والروائية الأمريكية سوزان سونتاج الانتباه إلى استعمال الأمراض "دائمًا كاستعارات لإعطاء حيوية للتهم القائلة إنَّ المجتمع فاسد أو غير عادل".(٢)

---

(١) انظر: الاستعارات التي نحيا بها، لايكوف وجونسن، (٢١) وما بعدها.

(٢) المرض كاستعارة، سونتاج، ترجمة: حسين الشوفي، (٧٥).

تُناقش سونتاج استعارات المرض في كتابيها: Illness as Metaphor الصادر في 1977 و Aids And Its Metaphors الصادر في 1990م.

ــ وصدرت مؤخرًا نسخة عربية لهما بعنوان (المرض كاستعارة) بترجمة حسين الشوفي. أُحيل إلى هذه الترجمة العربية؛ تيسيرًا على القارئ العربي، إلا أني في مواضع أُحيل إلى النسخة الأصلية الإنجليزية التي أترجم منها ما أقتبسه؛ حين توجد بعض الإشكالات في الترجمة العربية؛ وأثبتُ رقم الصفحة في النسختين.

وتشير سونتاج "كان المجذوم في العصور الوسطى نصًا اجتماعيًا؛ أُبرز الفساد من خلاله؛ ونموذجًا، ورمزًا للانحلال. لا شيء أكثر عقابية من إعطاء مرضٍ ما معنى – معنى أخلاقي دائمًا. إنَّ أي مرضٍ مهمٍ سببُه غامض وعلاجه غير فعَّال، يميل إلى أن يكون بالغ الأهمية. أولاً، تُربط الموضوعات المروّعة بالمرض (الفساد، والانحلال، التلوث، الشذوذ، الضعف)، فيصبح المرض نفسه استعارة. ثم باسم المرض (أي باستخدامه استعارة)، يُفرض هذا الهلع على أشياء أخرى. يصبح المرض صفة. يُقال عن شيء ما بأنَّه يشبه المرض، بمعنى أنَّه مقزز أو قبيح."(١)

تُقرُّ سونتاج بأنَّ المرء لا يمكن أن يُفكِّر دون استعارات مجازية، وتدعو في كتابها إلى إعمال النظر في الاستعارات المرتبطة بالمرض، والتنبُّه إلى تحيّزاتها، وتحذِّر من قراءة المرض كشيء آخر غير نفسه، وتعدُّ استخدام المجتمعات للاستعارات للتعامل مع الأمراض ضارًا ومهينًا للمرضى بربط الجسد المصاب بمرض عضال بالانحلال الفكري والأخلاقي، بما يُسهم في تشكّل تفكيرنا تجاه الأمراض. ورغم هذا فإنَّ المرض حضر في كثيرٍ من الأعمال الأدبية العالمية والعربية حضورًا مجازيًا؛ بما يجعل من المستحيل قراءة المرض قراءة غير مجازية، بما يحمله من دلالات على الإشكالات والأدواء الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.(٢) ومن ناحية مقابلة

---

(١) Illness as Metaphor, Sontag, (58), بترجمتي، وانظر: المرض كاستعارة، (٦١-٦٢).

(٢) انظر: المرض كاستعارة، (٩١).

ـ تؤكد هذا أيضًا عبير همدر في كتابها المهم عن تمثيلات المرض والإعاقة في الأدب العربي، مركزة على الكتابات السردية النسائية، انظر:

The Female Suffering Body: Illness and Disability in Modern Arabic Literature, Hamdar, (22).

ترى ماري دوغلاس وإيرفينغ جوفمان، أنَّ الأجساد حاملات رمزية للخطاب الاجتماعي والسياسي الموجود داخل أي مجتمع معين.(١)

ومن جهة أخرى ارتبطت بجائحة كورونا مجموعة من الاستعارات يبرز من بينها تلك المتصلة بالحرب، مثل المعركة، والعدو، والضحايا، والنضال. وقد لاحظت سونتاج شيوع استعارات الحرب في مثل هذه الخطابات المتصلة بالأمراض والأوبئة، وترى أنَّ هذه الاستعارات العسكرية تصوّر الأمراض المرعبة كآخر أجنبي، كما يُصوَّر الأعداء في الحرب الحديثة. إضافة إلى أنَّ هذه الاستعارات تسهم في "تشويه بعض الأمراض وبعض المرضى".(٢) وهي منتشرة على نطاق واسع في خطابات جائحة كورونا بعد تفشيه وإثارته للهلع. يؤكد القادة السياسيون مثل ترامب وماكرون في رسائلهم أنهم في حالة حرب،(٣) ولا تخلو الخطابات المتداولة من استخدام معجم الحرب عند الحديث عن فيروس كورونا، بما يلفت الانتباه إلى معاني هذه الاستخدامات ومضامينها وآثارها. وهذه الإشكالات اللغوية المرتبطة بتصوير الأوبئة والتعبير عنها تستدعي التأمل والتحليل والقراءة المعمّقة والنقد.

---

(١) انظر: The Female Suffering Body, (22)

(٢) المرض كاستعارة، (٩٦).

(٣) لمزيد تفصيل ونقاش لاستعارات الوباء الحربية ضمن سياق وباء كورونا، انظر:

Pandemic and its metaphors: Sontag revisited in the COVID-19 era, Craig.

- **أن يكون الوباء آخر**:

يبرز ضمن تاريخ الأوبئة تصويرها على أنها قادمة من الخارج، بل وقد تطغى أحياناً نظرية المؤامرة التي تربط الأوبئة بنوايا أجنبية خبيثة تهدف إلى الإضرار. يشير ضمن هذا السياق الروائي التركي أورهان باموق -الفائز بنوبل للآداب في عام ٢٠٠٦- أنَّ الطاعون -مثل الشر تمامًا- صُوِّر دائمًا على أنَّه شيء آتٍ من الخارج. لقد ضرب في مكان آخر من قبل، ولم يتم عمل ما يكفي لاحتوائه. ويلفت باموق إلى أنَّ ثيوسيديدس في روايته لانتشار الطاعون في أثينا (الذي اجتاح أثينا عام ٤٣٠ قبل الميلاد) بدأ بالإشارة إلى أن تفشيه بدأ في أماكن بعيدة، في إثيوبيا ومصر. فالمرض غريب، يأتي من الخارج، يأتي بنية خبيثة. وتتبدى الشائعات حول الهوية المفترضة لناقليه الأصليين على أنها دائمًا الأكثر انتشارًا وشعبية.(١)

ولعلّ سوزان سونتاج من أبرز مَن توقّفوا عند هذه الظاهرة.(٢) تشير سونتاج أن إحدى صفات الخطاب المألوف عن الوباء: "أنَّ المرض يأتي من مكانٍ ما آخر. إن أسماء السيفيلس، عندما بدأ موجته الوبائية الكاسحة في أوروبا في العقد الأخير من القرن الخامس عشر، هي مثل موضِّح للحاجة إلى جعل المرض المُروَّع أجنبياً. كان السيفيلس (فرنسياً) بالنسبة للإنكليز، و(الموربوس) ألمانياً للباريسيين، ومرض (نابولي) للفلورنسيين، والمرض (الصيني) لليابانيين.

---

(١) انظر: What the Great Pandemic Novels Teach Us, Pamuk.

(٢) تناقش سونتاج هذه الإشكالية بأمثلة عديدة، وتحليل ثاقب، انظر: المرض كاستعارة، (١٢٩) وما بعدها.

ولكن الذي يمكن أن يبدو كنكتة عن حتمية الشوفينية [المغالاة في التعصب] يكشف حقيقة أكثر أهميةٍ: هي أن هناك صلة بين تصور المرض وتصور التابعية الأجنبية. ربما هي فكرة الخطأ نفسه، التي كانت في القديم ينطبق معناها لا علينا، بل على الأجانب"[١]

وما يستلزم التأمل أنَّ هذا حضر في تمثيلات أدبية ارتبطت بأوبئة سبقت كورونا، مثل الأنفلونزا الإسبانية، التي يشير اسمها -كما هو جلي- إلى ربطها بإسبانيا.

ومن اللافت أنَّ مساهمات عددٍ من أهم المفكرين والنقّاد الغربيين في العصر الحديث جُمعت في كتاب وصدر باللغة الإسبانية بعنوان (Sopa De Wuhan)"شوربة ووهان"، في إحالة إلى عادات الأكل الصينية التي اعتُقد أنّها سببٌ للوباء، وتحديدًا شوربة الخفَّاش، وهو ما استدعى ردود فعل شاجبة، ربطت مثل هذا التصوير بكراهية الأجانب (xenophobia) والعنصرية والاستشراق.[٢]

وضمن السياق العربي، يُشير الكاتب والمفكّر هاشم صالح في مقالة بعنوان كارثة كورونا: من المسؤول؟ نُشرت في جريدة الوطن السعودية بتاريخ ٢٥ يونيو ٢٠٢٠ "كما وينبغي على إخواننا الصينيين أن يتخلوا عن عاداتهم الغريبة العجيبة في أكل الحيوانات البشعة كالكلاب والفئران

---

(١) المرض كاستعارة، (١٣٠).

(٢) لتحليل لهذا الخطاب، انظر على سبيل المثال:

Many-faced Orientalism: Racism and Xenophobia in a time of the Novel Coronavirus in Chile, Chan & Strabucchi, (385-388).

والثعابين والخفافيش.. فقد ثبت أنها كانت موجودة بكثرة في سوق مدينة ووهان ومنها انتقل فيروس الكورونا الفتاك إلى الإنسان."[١]

لكن هذا الحدث لا ينبغي أخذه بمعزل عن ظواهر معاصرة تبرز في آخرية الوباء، بما يكشف عن أدواء نسقية عميقة، تستدعي مزيدًا من التأمل والفحص والنقد، ويستجلب أسئلة عن معنى أن يكون الوباء آخر، وكيف يمكن أن تظهر تمثيلاته هذا في السرد، ومآلات مثل هذه الخطابات.

- **المرض والوباء: مراوغة التمثيل وتحدياته**

في مقالة بالغة الأهمية بعنوان أن تكون مريضًا (On Being Ill)، تستهلها فرجينيا وولف بالإشارة مبكرًا إلى أثر المرض المهول في حياة الإنسان، بالنظر إلى مدى شيوعه، وأثره الجسدي ومدى جسامة التغيير الروحي الذي يجلبه. وتتعجَّب وولف من أنَّ المرض ليس من الموضوعات الرئيسة في الأدب رغم كل هذا: "عندما نفكر في هذا وأكثر بما لا نهاية له، إذ إننا نضطر كثيرًا إلى التفكير في الأمر، يصبح من الغريب حقًا أن المرض لم يأخذ مكانه بجانب الحب والحرب والغيرة من بين الموضوعات الرئيسة في الأدب. قد يظن المرء أنَّ روايات ستُكرِّس للإنفلونزا، وأشعارًا ملحمية للتيفوئيد، ونصوصًا للالتهاب الرئوي، وقصائد لألم الأسنان، لكن هذا لم يحدث؛ وإن وجدت استثناءات قليلة."[٢] ثم تشير إلى ارتباط هذا بثنائية العقل والجسد، فالأدب "يبذل قصارى جهده ليؤكد أنَّ اهتمامه بالعقل؛ وأنَّ الجسد عبارة عن قطعة من الزجاج الناصع تبدو الروح من خلالها صافية

---

(١) كارثة كورونا: من المسؤول؟، صالح.

(2) Selected Essays, Woolf, (101)

وجميع الاقتباسات من هذه المقالة بترجمتي.

وواضحة، وباستثناء عاطفة واحدة أو اثنتين مثل الرغبة والجشع، فهي لاغية، ومهملة وغير موجودة." [١] وتناقش وولف في مقالتها أهمية أن يكون المرض موضوعًا سائدًا في الأدب، لكن ليحدث هذا يجدر بنا التأكيد على أهمية ألا يكون حضور المرض استعارة، أي أن يصبح تمثيلًا لأشياء أخرى غير المرض، بعبارة أخرى أن يُستخدم رمزًا وتوضيحًا لموضوعات أخرى.

ومن اللافت هنا أنَّ توصيف المرض والألم ليس يسيرًا، فتحديات تمثيل المرض أدبيًا ترتبط كذلك باللغة وبالقدرة على توصيف الشعور بالمرض، وبالتالي فإنَّ محدودية القدرة اللغوية على القبض على هذه التجربة تجعل من العسير التعبير عنها وتصويرها. بعبارة أخرى، ارتبط المرض بـ"فقر اللغة" كما تصفها وولف، فالأدباء لم يتناولوا هذا الموضوع، مثل تناولهم للحب على سبيل المثال، مما كيّف أشكال التعبير عن المرض، "دع مريضًا يحاول أن يصف ألمًا في رأسه لطبيب وستنضب اللغة في الحال، لا يوجد شيء جاهز له. إنه مجبر على صياغة الكلمات بنفسه"[٢] ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى تعسّر توصيف المرض والألم، وتحويله في الكتابة الأدبية إلى شخصيات ملموسة، فحكاية تجربة المرض "تحمل الغموض وعدم اليقين"؛ إذ إنَّ "الألم والمعاناة والقلق والألم والشعور بأنَّ شيئًا ما ليس على ما يرام هي حالات من الصعب للغاية، إن لم يكن من المستحيل، وصفها بالكلمات."[٣]

---

(1)Selected Essays, Woolf, (101). وجميع الاقتباسات من هذه المقالة بترجمتي

(٢) المرجع السابق، (١٠٣).

(3)Narrative Medicine, Charon, (4).

ولعلَّ من السمات المؤثرة أنَّ الأمراض، وتحديدًا الخطيرة منها تشترك في خاصية أساسية: أنَّها بتسببها بضرر للجسد تشكِّل ضررًا للذات.(١) ويمكن القول هنا إنَّ تجربة المرض بوصفها تجربة شخصية مؤثرة، تجعل الإنسان في مواجهة مع ذاته، ومع القوى الخارجة عن سيطرته التي تشكِّل تهديدًا لوعيه وإحساسه بهويته ووجدانه ووجوده؛ ما يُشكل تشظيًا وتأزمًا في الإحساس بالذات ومدى القدرة على فهم تجربة المرض وتفسيرها وتقبُّلها والتعبير عنها.

٢- الأوبئة في الأدب العربي الحديث

يحضر الوباء بصفته أحد الأحداث التاريخية الكبرى المؤثِّرة في الإنسان، ولذا فقد كان من الثيمات التي تفاعل معها الأدباء وتناولوها في أعمالهم. وقبل تفشي وباء كورونا، حضر الوباء بتشكُّلات ومضامين مختلفة في الأدب العربي الحديث. في الشعر، على سبيل المثال، تحضر قصيدة الكوليرا للشاعرة العراقية نازك الملائكة بوصفها ذات أهمية تاريخية، ليس فقط بالنظر إلى الموضوع الذي تناولته، بل والأهم ارتباط القصيدة بريادة الشعر الحر، حتى عُدَّت مرحلة مفصلية في تاريخ الشعرية العربية. نَظَمَت نازك الملائكة القصيدة حين حلَّ وباء الكوليرا بمصر في عام ١٩٤٧م، وأسفر عن وفاة آلاف المصريين. وهي قصيدة تعبّر بها عن صدمتها من الموت الذي يحصد الأرواح يوميًا، وانفعالها الشديد وتأثرها بهذه النازلة.(٢) وتقول نازك الملائكة "كتبت تلك القصيدة أصوّر بها مشاعري نحو مصر

---

(١) انظر: Viral Modernism, Outka, (26).

(٢) انظر: لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، مقدمة ديوانها: يغير ألوانه البحر، الملائكة، (٩-١٢).

الشقيقة خلال وباء الكوليرا الذي داهمها. وقد حاولت فيها التعبير عن وقع أرجل الخيل التي تجر عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر. وقد ساقتني ضرورة التعبير إلى اكتشاف الشعر الحر."[١]

وفي السرد، تبرز أعمال عديدة حضرت فيها أوبئة مختلفة حضورًا متفاوتًا بين الحضور الحقيقي أو المجازي الرمزي، والحضور المركزي أو الهامشي، وكذلك باستحضار أوبئة حقيقية أو ابتداع أوبئة لم يعرفها الواقع. ومن الأعمال السردية التي تناولت الأوبئة، على سبيل المثال، حديث طه حسين في الأيام عن تفشي الكوليرا في مصر، وكما يُصوِّر نجيب محفوظ في روايته الحرافيش أحد الأحداث التي مرّت بالحارة المصرية، وكيف هاجم الوباء ذاته الحارة المصرية، فلم يكد يسلم منه أحد، باستثناء عاشور الذي ينجو من الوباء الحقيقي لكنّه لا ينجو من الظلم المسيطر الذي يبدو وباءً لا سبيل إلى النجاة منه. وبصورة رمزية يحضر وباء الطاعون في رواية السائرون نياما لسعد مكاوي التي تعرَّض فيها لأواخر حكم المماليك لمصر بين أعوام (١٤٦٨- ١٤٩٩م)، وكان الطاعون فيها بحسب بعض النقاد إسقاطًا مباشرًا على الضباط الأحرار وصراعاتهم وعلاقتهم بالشعب.[٢]

ولعل من التجارب اللافتة تجربة الروائي السوداني أمير تاج السر في روايته إيبولا ٧٦، إذ يتناول وباءً حديثًا نسبيًا، فتدور أحداث الرواية في عام ١٩٧٦م، مصوِّرًا انتشار فيروس إيبولا في أفريقيا، بين الكونغو وجنوب السودان، ومعرِّيًا جوانب من الاضطهاد وعدم المساواة واقتراب الموت الذي يزيد الأنفس هلعًا وعراءً. واللافت في هذه الرواية تشخيص

(١) قضايا الشعر المعاصر، الملائكة، (٢٣).

(٢) ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية، (٩٥٣).

الفيروس، فهو يفكّر ويتتبع ويبتسم ويهاجم. ورغم أثر الأنفلونزا الإسبانية على الأدب الغربي والتاريخ الغربي عمومًا؛ إذا حصد ملايين الأنفس في عام ١٩١٨م وما بعدها بما يفوق من قتلوا في الحرب العالمية الأولى، فلا تكاد تحضر في الرواية العربية إلا ربما في رواية أمريكا لربيع جابر، وإن لم يكن الوباء الثيمة الرئيسة فيها. بيد أنَّ اللافت أنَّ الأدب الغربي ذاته لم يتناول هذا الوباء رغم أثره الجلل إلا باستثناءات معدودة، ما يثير أسئلة عن الكتابة الأدبية واهتمامها بالأوبئة، وكذلك مقارنتها بالحرب العالمية الأولى قبلها مباشرة التي استولت على اهتمام الأدباء والكتّاب والباحثين.(١)

وقد يحضر الوباء بوصفه متخيلًا لا وجود واقعي له، كما في رواية هالوسين للروائي الجزائري إسماعيل مهنانة، فهو يصوّر فيروسًا ينتقل بالكلام، ويظهر في دول شمال إفريقيا، مستحضرًا تغييرات عديدة، وممثلًا برمزية مشكلات دينية وسياسية يعاني منها المجتمع. ولعلّ الحضور المجازي للوباء يتجلّى في رواية الوباء للروائي السوري هاني الراهب المنشورة في ١٩٨١م التي تُصوّر التطورات والتحولات السياسية والاجتماعية في تاريخ سورية الحديث منذ الحرب العالمية الأولى، وترصد جوانب من الماضي والحاضر في تسلسل تاريخي سردي، مهتمة بالصراع الطبقي والاجتماعي والعلاقة بالسلطة، فيبدو الوباء معنويًا ويتوارى الوباء البيولوجي الحسي.(٢)

يحضر الوباء في نماذج عديدة بوصفه تمثيلًا مجازيًا لأدواء اجتماعية وسياسية يعاني منها المجتمع، عوضًا عن كونه تمثيلًا حقيقيًا، فيوظّف

---

(١) مثلًا كتاب أوتاكا: Viral Modernism.

(٢) انظر: قراءة في رواية الوباء، يونس.

الأديب الوباء بما يملكه من حمولة رمزية لمعالجة قضايا متنوعة. يلتقط إلياس خوري هذه الفكرة في سياق الأدب الغربي معبّرًا عنها بكلمات يجدر اقتباسها؛ إذ إنها تؤكد ما تبيَّن لنا في هذه المقاربة الموجزة لسرديات الأوبئة في الأدب العربي الحديث، يقول خوري:

"فالأدب الحديث من توماس مان إلى ألبير كامو وأندريه شديد وغابرييل غارثيا ماركيز وجوزيه ساراماغو... استخدم الأوبئة كاستعارة، وصنع منها كناية تطرح أسئلة عن الحب والمجتمع والدين والسلطة، بحيث لا نكاد نعثر على أدب يوثق زمن الوباء. فالافتراض أن الإنسان انتصر على الطبيعة بشكل كامل ومطلق سمح للأدب بأن يجعل من الوباء معبراً لأسئلته الوجودية التي جعلت من الوباء رمزاً.

فجاءت كورونا ومعها أتى الوباء، لا كرمز بل كحقيقة، لا كإطار بل كواقع، مفتتحة سؤال العولمة وما بعدها، ورافعة إصبع الاتهام في وجه الرأسمالية المتوحشة، ومذكّرة بأن هشاشتنا هي السمة الرئيسية لإنسانيتنا."(١)

لكن يجدر التنبه إلى أنَّ الكوليرا أو إيبولا، على سبيل المثال، اتَّسمت بحضورٍ محدودٍ جغرافيًا مقارنة بجائحة كورونا الذي تأثَّر بها العالم بأسره، ولعلَّ العولمة والشبكات الاجتماعية بما تُوثّقه من صور أسهمت في امتداد تأثير الجائحة والشعور بها وتحسّس أثرها حتى وإن كان في الجهة الأخرى من العالم، وأحدث رهبة وخوفًا من تفشيها واقترابها بسيل الصور والأرقام والمقاطع التي تتدفق على الفرد؛ "ليصبح مرضًا وهاجسًا شخصيًا مخيفًا،

(١) الأدب في زمن الوباء، خوري، (١٤٦).

يُعشِّش في تفكيرنا، يستيقظ معنا، ويسير بمحاذاة خطواتنا، ويعيد تشكيل ممارساتنا الحياتية، رغمًا عنَّا، بعد أن يشتِّت ويبعثر طرائق عيشنا التي اعتدنا عليها."[١]

تستحث هذه التمثيلات الدارس إلى التفحّص العميق لتجليات تمثيل الوباء في الأدب من ناحيتين: الأولى من حيث ارتباطها بالوباء الذي تصوّره أو تسعى إلى توظيفه ومدى تأثير ذلك الاختيار من جهة ودوافعه من جهة ثانية. أما الأخرى فالسياق العام الذي كُتب فيه المنجز الأدبي. ومن المهم أيضًا تأمل التناول الأدبي لجائحة كورونا ومقارنتها بأوبئة سابقة تعرّض لها الأدب أو أهملها.

(١) لون الغد، الرفاعي، (١٥).

المبحث الأول: اغتراب الذات والمكان

يبرز المكان في الروايات موضوع الدراسة بصورة لافتة، ليس لحضوره المكثّف فحسب، بل ولاقترانه بجائحة كورونا. وسيركز هذا المبحث على (الصحراء والمنزل) مستكشفًا تجليات الوباء بالعلاقة بهما، ومظاهر تصويرهما.

- الصحراء والاحتفاء بالطبيعة

عَنوَن الروائي السعودي خالد اليوسف روايته بسيرة حمى، بما يُحيل مباشرة إلى جائحة كورونا، بالنظر إلى عتبة العنوان وزمان صدور الرواية. بيد أنَّ حضور جائحة كورونا ظلَّ متواريًا، لا يُشار إليها إلا بإشارة غير مباشرة بعد ٤٢ صفحة، بإشارة إلى أحد المظاهر المرتبطة بالجائحة (حظر التجول).[١] تبدأ الراوية بمشهد لبطل الرواية الدكتور خزيمة الباحث في التاريخ والآثار الذي يذهب برفقة عدد من الزملاء إلى الصحراء، بما يُمثّل التماهي مع الصحراء والانغماس في الطبيعة، ويكشف عن استحضار جلي للصحراء في هذه الرواية.

قد يتبادر إلى ذهن القارئ للوهلة الأولى تساؤلٌ عن سرِّ هذا الحضور المكثَّف للصحراء في نصٍ يبدو متعالقًا مع جائحة كورونا؟

لعل الإجابة يمكن تلمّسها في مسارين اثنين: الأول، أنَّ الصحراء من أكثر الفضاءات الطبيعية ارتباطًا وجدانيًا بالإنسان العربي فهي "تتجاوز انبساطها الجغرافي ووضعها المناخي والتضاريسي والجيولوجي إلى تجذرها

(١) سيرة حمى، اليوسف، (٤٢).

في التراث الثقافي الشامل للإنسان العربي، والانضمام إلى الإسهام في تكوين ذاته الجمعية على عدد من المستويات أدى اجتماعها الى إحداث صلات شديدة الخصوصية مع الصحراء يندر وجود ما يماثلها في مناطق أخرى."[١] ويقوى الارتباط بالصحراء بما تمثّله من نقاء الطبيعة بالإنسان في الجزيرة العربية والمملكة العربية السعودية تحديداً؛ لأسباب تاريخية وجغرافية واجتماعية عديدة. وأحد المظاهر المرتبطة بجائحة كورونا الالتفات إلى الطبيعة، وتجديد العلاقة معها، والمناداة بضرورة حماية كوكب الأرض من مشكلات المناخ والاحتباس الحراري والتلوث وغيرها.[٢] وضمن هذا السياق يكون تصوير الطبيعة، ممثلة بالصحراء في هذه الحالة، احتفاءً بها وانحيازًا إليها، وعودة إلى التواصل معها. وهو أمرٌ عزّز إدراكه الحجرُ المنزلي وحظر التجول، فبعد رحلته إلى الصحراء وقضاء يومين فيها يخاطب الراوي في رواية سيرة حمى عقله الباطن "ألا يكفي أن أعيش في متعة الحرية الطبيعيّة؟ ألا يكفي أن أكون في نقاوة، وفي صفاء، وفي انشراح؟ ألا يكفي أن أستنشق هواءً عليلًا لا عبث في مكوناته، وفي طهارته؟"[٣] تظهر أمثلة على هذا الوعي بالطبيعة كذلك في رواية ربيع الكورونا للكاتب الليبي أحمد رشراش، إذ يتأمل الراوي سجن الإنسان في ظل هذه الجائحة، ويقارنه بسجنه للحيوان وحرمانه من حريته وفي تعامله مع الطبيعة، ويتأمل "لقد هيمن على الناس في سجونهم الإجبارية الجديدة ببيوتهم، شعورٌ بأن غالتهم أغوال القدر، ونابتهم خطوب الزمن، وتخرّمتهم

(١) الرواية العربية والصحراء، صلاح، (٧).
(٢) لون الغد، (١٤-١٢٣-١٢٤).
(٣) سيرة حمى، (٣٥).

بوائق الدهر، وصاروا يتأملون أن تهادنهم صروف الزمان! فخلت المدن الكبيرة من أهلها، وأقفرت المرابع الجميلة من روادها، وفقدت الأماكن الخلابة بريقها، وصارت الشوارع قفاراً موحشة، ما بها صافر ولا طارف؛ فاغتنمت بعض الحيوانات الفرصة لتحل محل البشر [...] فهل حدث كل ما حدث بمحض الصدفة؟ أو أنها آية من آيات الخالق -سبحانه- ورسالة ربانية إلى الإنسان، تنبهه إلى أنه ليس الكائن الوحيد على وجه الأرض، وأن الطبيعة ليست ملكاً له وحده!"(١)

أما المسار الثاني، فهو اقتران الصحراء في المخيلة الجمعية بعددٍ من الثنائيات المتضادة مثل الأمن والخوف، والجمال والرهبة، والخفاء والتجلّي، وارتباطها كذلك بجملة من الخصائص منها الوحشة والخطر والتيه وعدم التنبؤ والغموض والرهبة والتقلُّب، والصحراء ترتبط بالموت وتستعصي على إمكانية التكهن ومعرفة المآلات، وتنأى عن القوانين الثابتة.(٢) صيَّرتها هذه الخصائص بما تُحيل إليه من دلالات فضاءً مناسبًا للاستحضار في نص يقارب جائحة كورونا التي تتسم بسمات مشابهة؛ لتوازن معها وتحضر في تمثيلاتها.

يقضي خزيمة (أبو سعد) رحلته الصحراوية "في قرية صغيرة داخل الصحراء، اسمها (الخاتلة)، وهي مُطلّة على (الصمان)"(٣) ويبدو أن اختيار هذه القرية التي تحمل هذا الاسم تحديدًا، بما يُحيل إليه من دلالات لغوية

(١) ربيع الكورونا، رشراش، (٧٨-٧٩).
(٢) الرواية العربية والصحراء، (٦-٧). وجماليات المكان في الرواية السعودية، البليهد، (١١٣-١٠٩).
(٣) سيرة حمى، (٤٣).

وصيغة اسم الفاعل، لم يكن اختيارًا اعتباطيًا؛ إذ يحيل جذر (ختل) إلى الخديعة عن غفلة ويقال أختل من ذئب.[١] بيد أنَّ الصحراء رغم هذا تبدو مسالمة آمنة، تُتاح معرفتها وكشف أسرارها والاستمتاع بأجوائها. تستطيع زوجة أبي سعد متابعة زوجها ومعرفة مكانه لحظة بلحظة، وتتمكن بما أتاحته التقنيات الحديثة من تتبّع زوجها والاطمئنان عليه، حتى وإن كان في وسط الصحراء. يتذكّر الراوي، "كانت هذه رحلتك الأولى بعيدًا عن عائلتك، إلا أنك كنت على تواصل مع زوجتك عبر هاتفك النقّال، وعند بدء تقطع الصوت والاتصال أخبرتها بأنّكم في وسط الصحراء، وبأنّك ستتواصل معها عند وصول الإشارات.. وغبتَ عنها يومين، كانت خلالهما في حالة قلق عليك، وخوف مما قد يصادفك، إلّا أنها بطريقتها الذكيّة كانت تبحث في مواقع الإنترنت عن أسلوب التتبُّع والبحث، مستفيدةً من شبكة الأقمار الصناعيّة التي اختصرت العالم، فأصبح كأنه في قبضة يدٍ واحدة. واستطاعت بالصورة تحديد مكانكم، والتوصُّل إلى إحداثيات الموقع التقريبي."[٢] وهي بالتالي تستطيع الاطمئنان عليه، ومساعدته والوصول إليه في حالة التيه أو الانقطاع.

وفي المقابل، كان الخطر متربصًا به في المدينة، حين وصل إليه فيروس كورونا وعانى منه، بما يحمله الفيروس من فزع واحتمالات الموت، على الرغم من كل حذره واحترازاته، ويتساءل "هل في مقدوري معرفة سبب إصابتي؟ ومن أين أتى هذا الفيروس؟ وأنا في حصن حصين؟

---

(١) انظر لسان العرب، مادة ختل (١١/ ١٩٩-٢٠٠) "والمُخاتَلة: مَشْيُ الصيّاد قليلاً قليلاً في خُفْية لئلا يسمع الصيدُ حِسَّه، ثم جُعل مثلاً لكل شيء وُرِّي بغيره وسُتِر على صاحبه".

(٢) سيرة حمى، (٣٦-٣٧).

كيف تسللّ إليّ وأنا منذ بداياته في حجر، وعزل، وابتعاد، وتباعد، وتطهير وتعقيم، ووسوسة غير عادية من كل شيء."[١] وزوجته وإن اتصلت به، فإنها تبقى عاجزة لا تملك إلا الدعاء والتوصيات.[٢]

تحضر هذه الموازنة بين الصحراء والوباء حضورًا لافتًا في تضاعيف الرواية، وبهذه المقابلة المواربة التي يعرضها الكاتب تتغشَّى الجائحة صفات الصحراء المستقرَّة في المخيّلة الجمعيّة، فجائحة كورونا تبدو غامضة، مجهولة، خطرة، لا يمكن التنبؤ بها حتى مقارنة بالصحراء، وفي المقابل تبدو الصحراء مسالمة، ملجأ للاطمئنان والسلام وإعادة اكتشاف الذات.

- **غربة المنزل الموبوء**

لعلَّ من الآثار المهمة لجائحة كورونا تأثيرها على معنى المنزل، إذ غدا الفضاء المنزلي سجنًا وساحة للموت، وأصبح لعبارات شاعت خلال الجائحة، مثل "البقاء في المنزل"، دلالات سلبية مرتبطة بالخوف والذعر وتقييد الحرية. يبدو المنزل غريبًا في سياق جائحة كورونا، وهو ما التقطه الروائي المصري عزت القمحاوي بعنوانه البارع غربة المنازل الذي ينجح في التقاط هذه المفارقة. والمنزل الذي لطالما عُدَّ مكان الاستقرار والراحة والدار الآمنة المطمئنة لقاطنيها، وبقي بعيدًا عن الأخطار وملجأ من الخوف، يحضر في روايات الجائحة بصفته فضاءً خطرًا وموّلدًا للخوف وشبيهًا بالسجن،[٣] يشير الراوي في رواية سيرة حمى:

---

(١) سيرة حمى ، (١٨٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١٩٢-١٩٣).

(٣) انظر: ربيع الكورونا، (٧٧-٧٩).

"مضت الأيام، فبعد اليوم الثالث من شهر شعبان، والذي قضيناه في الحجر وفي العزل المنزلي، وأصبحت الحياة عامّة في حالة انغلاق تامّ، مِمّا اضطرني إلى نبش مكتبتي كتابًا كتابًا، وملفًا ملفًا؛ من أجل جمع أيِّ شيء يخص بحثي وكتابتي، لكنَّ أحاسيسي ومشاعري تأثرت كثيرًا بما يجول، حيث إنِّ مسار الأحداث اليومية المؤلم عالميًا ومحليًا قد أوجعني، فانتابني الهلع من هذا الوباء، مما اضطرني إلى الجلوس مع أبنائي لوقت طويل، راجيا أن تمر الأيام سريعًا، بعيدا عن الخوف. لم أكن أتوقع أن تتزايد وتيرة الألم النفسي في بيتي، لكنَّ تواصلي مع كُلِّ كم أعرفه أوصلني إلى هذه القناعة: (إنَّ البقاء في البيت لأطول وقتٍ؛ بسبب عدو لا يُرى هو الخوف نفسه)".[1]

وحتى البقاء في المنزل، والحذر الذي يبدو مبالغًا فيه أحيانًا، والالتزام بكل الاحترازات ليس كافيًا لتنُّجبِ الفيروس والسلامة منه. في رواية غربة المنازل، يفعل رامي حنَّا كل ما يستطيع، ويأخذ الاحتياطات اللازمة، ولكن الوباء يصل إلى بيته وإلى غيداء، ويكاد يختطفها، غير أنها تنجو بصعوبة بعد أسابيع في المستشفى:

"ميَّز في صوت جرس الباب ثقل يد سالم؛ فهرول إليه، تلقف منه المشتراوات، ودخل بها إلى المطبخ. بدأ في إجراءات التطهير المعقدة التي لم تفلح في منع الفيروس من التسلل وإصابة غيداء. أفرغ الأشياء في أواني الغسيل، وغيَّب الفوارغ البلاستيكية في الكيس الكبير بسلة القمامة،

(١) سيرة حمى، (٥٨-٥٩).

كأنه يخفي دليل جريمة. وبدأ في عمليات الغسيل بالماء والخل ثم بالماء الجاري."[١]

ويبدو لافتًا أنَّ العزلة وقت الوباء مختلفة عن العزلة في زمن آخر، فالعزلة في زمن الوباء تظهر معادلة للخوف والهلع وانتظار الموت. يفرض بديع العطّار على نفسه العزلة قبل الوباء، مبتعدًا عن الناس باختياره ويبدو سعيدًا بقراره هذا، لكنَّ كل شيءٍ يتغير بتوارد أخبار الجائحة المرعبة، وبتساقط الضحايا، وبسيل الأخبار التي تنقلها الوسائل الإعلامية صوتًا وصورة. كان العطّار قد قضى سنوات طويلة في عزلة في جزيرة نائية، حتى بدا أنّه قد اطمأن للعزلة والسكون والصمت، لكن عزلة الوباء تنشر الخوف الذي يقلب كيانه، إذ هو يرى الخوف "الأبشع من كل بشاعة، لأنه يبدد تضامن الضحايا ويحولهم إلى ضباع تتداعى لنهش من يسقط من بينهم، يتلذذون برؤية لحمه بين الأنياب لمجرد أنهم ليسوا مكانه."[٢] هذا الخوف المرتبط بالجائحة والمتغلغل إلى الأماكن الآمنة استدعي القمحاوي أن يعنون أحد فصول روايته "٢ أبريل من العام الأول للخوف".[٣]

---

(١) غربة المنازل، القمحاوي، (٤٦).

(٢) المرجع السابق، (٤٩)، وانظر: (١١١).

(٣) المرجع السابق، (٤٩).

المبحث الثاني: العدو الخفي والموت المتربِّص

يظهر في تصوير جائحة كورونا وصفها بالغموض والخفاء، ويتجلّى اضطراب المكان والزمان، وانقطاع الحياة. يظهر الوباء فجأة، دون سابق إنذار، ويبدو عدوًا مرتبطًا بالموت، ويشيع الخوف في الفضاءات الآمنة سابقًا، ويزعزع الاستقرار المألوف، ويُغرق المجتمعات في واقع فوضوي جديد. يغيب اسم الجائحة في مواضع غير قليلة ولا يذكر التهديد باسمه أحيانًا، لكن الكتّاب يصورون جو الوباء الذي يملأ كل شيء. ما يثير الفزع والهلع أنَّ الوباء خفي، ويبدو أنَّه يتحرك دون هدف محدَّد، فالجميع في خطر، بغض النظر عن أوضاعهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فلا أحد محصن من هذا الوباء المروّع. ومعرفة ماهية الفيروس وما يُحدثه في الجسد تظلُّ غامضة كما يقول الطبيب في غربة المنازل: "كنا نعتقد أنه فيروس يصيب الجهاز التنفسي فحسب، لكن تبين أنه يخبط عشوائيًّا في أي اتجاه: المخ، القلب، الكلى، الكبد، البنكرياس."(١)

يُصوّر الراوي الرعب الذي يتسبب به كورونا، وقدرته على الانتقال، واستهداف الناس، مقارنًا إياه بأوبئة سابقة عرفها الإنسان وعانى منها، لكنه رغم هذا يبدو أشدَّ فظاعة وأكثر نشرًا للخوف:

"الخفة القاتلة للكوفيد الذي لا يحتاج إلى أكثر من الهواء لكي ينتقل ويعربد. لا يستهدف الضعفاء من الجنود والعمال وبوابي العمارات بشكل خاص. لا تلزمه سوى عطسة يعطسها أحدهم في خُصٍّ أو قصر، بينما يحتاج الطاعون إلى البراغيث التي تؤاخي بين الفئران والفقراء، وتمارس

(١) غربة المنازل، القمحاوي، (٢١).

الكوليرا التمييز نفسه ضد الفقراء، تضربهم بسبب مياه أو أطعمة ملوثة بفضلات شخص مصاب. والحمى الصفراء يلزمها بعوض يسعى ذهابًا وإيابًا بين المستنقعات ووجوه البشر. وللمفارقة؛ فالخفة الشرسة التي منحت الفيروس وجهه المضيء بوصفه أكثر الأوبئة عدلًا، هي ذاتها التي تزرع الشك في وجوده."(١)

وهو يزهق الأرواح بسلام ظاهري، لكنه يتسلّل مشيعًا الموت والذعر والاضطراب: "تعرض الأخبار صورًا لمرضى في الرمق الأخير أو لجثث، لكن الأجساد المريضة والميتة تبدو سليمة وكأنهم في غفوة هانئة؛ لا قيء، لا دمامل أو تشوهات مما تسببها أوبئة الماضي."(٢)

وتبدو مهابة الموت ورهبته قد اهتزت وتبدَّلت، فحتى معاني الموت والمظاهر الاجتماعية المرتبطة به قد اختلفت في ظل هذه الجائحة تنتزع أرواح الناس، والأجواء المحيطة به من العزاء والتعاطف والوقوف مع ذوي المتوفى تتضاءل في زمن الجائحة. يُصوّر الراوي أجواء الموت واختلاف معانيه بما يكشف عن تشكيل الجائحة لأجواء جديدة لم يعهدها الإنسان؛ لتؤثر في عواطفه ومشاعره وعلاقته بالقريبين منه. يقول الراوي في رواية سيرة حمى: "وروى أبو مالك أحمد المثنى لأبي الهيثم ما رآه في المقبرة الرئيسة لشرق (الرياض)، حيث لا يُشيّعُ الموتى إلا أهلهم الأدنون: «رأيتُ مالم أره من قبل، حزنٌ مضاعف يسير مع المشيعين، حزن الوداع لموتاهم، وحزن الوباء والجميع في ذهول! حيث الوجوه غامضة، والتباعد والفرقة قائمان، والنفوس في صدمة الوقت شاردة!». ثم أخبر أبو الهيثم أبا مالك

(١) غربة المنازل، القمحاوي، (٥٧-٥٨).
(٢) المرجع السابق.

عن شعوره بالعجز؛ مما نمرُّ به من ألم عظيم، وأن الناس لتوالي أخبار الموتى أصبحوا عن العزاء عاجزين، وعبر هواتفهم النقالة كاتبين، عبارات سريعة مواسين، وأنه في كل أسبوع يدخل في عزاء حزين..."(١)

يشير العادل خضر لتغير الموت نفسه في ظل هذه الجائحة وتغير معانيه، حتى أصبح الميت مجرد رقم، "لم يعد الميّت "غريبا" يذكر اسمه في سجل الوفيات اليوميّ، ولا "قريبا" نذهب في جنازته، ولا "عزيزا" نعزي أهله في مصابه. فجأة زال جلال الموت، وتغيّرت كيمياء الأحزان. فمن تقتله الكورونا لا يثير فينا شيئا سوى الهلع الصّامت المكتوم، فهو شخص قد مات موتا لا يثير الشفقة، وإنما مات موتا يثير الخشية والفزع. فهو مىت ومميت، متوفًّى ومتوفٍّ."(٢)

ورغم أنَّ استحضار الأطفال يرتبط عادة بالحديث عن النقاء والبراءة، إلا أنّهم في هذا العالم المفعم بأجواء الموت والهلع السائد يصبح استحضارهم مقرونًا بالخوف ومشاهد الخطر. في غربة المنازل، يختلط سالم بوَّاب العمارة وزوجته وأطفاله بسكان العمارة، والمنازل مفتوحة لهم، والحديث يمتد معهم، إلا أنَّ الحال يتبدّل بقدوم الوباء: "كشف الوباء عن وجهه القبيح. أحسَّ سالم بأنه وأسرته صاروا مقصيين جدًّا، وغرباء. لم يعودوا أبناء العمارة. كل حي يفكر في نفسه كما في يوم الحشر."(٣) وبعد أن كان الأطفال معادلين للبراءة أصبحوا مصدر خطر محتمل: "تباعدوا كذلك عن الأطفال، يتعاملون معهم كمصدر محتمل للعدوى. أكثرهم

(١) سيرة حمى، (١٠٧).
(٢) أيام الكورونا، خضر، (١٠).
(٣) غربة المنازل، (١٣٨).

تجنّبهم تمامًا، والبعض يداعبهم بكلمة إشفاقًا دون أن يتذكر أسماءهم. والأطفال الذين اعتادوا إلقاء أنفسهم في أحضان الصاعدين والهابطين بدأوا يحسون غرابة المعاملة الجديدة؛ فانكمشوا على أنفسهم محتمين بالجدار مثل كتاكيت دخل عليها الظلام."[١]

تغيب المشاعر باستثناء الخوف، ويظهر الصمت على السطح مسيطرًا على كل شيء المدينة ووجوه المسعفين الغائبة خلف الكمامات والمرضى.[٢] ويصل التصوير أحيانًا إلى مشاهد مرعبة تنافي ما بقي في هذا الكون من إنسانية، ويصل التخييل إلى مستويات صادمة للقارئ: تضاعف الخوف وتفجرت ينابيع القسوة في القلوب. استمرَّ سقوط النساء الغامض من شبابيك وشرفات الطوابق العليا، وبدأ الأبناء فهناك من "يتركون أمهاتهم المريضات وحيدات حتى الموت، كثيرون يتساقطون في عتمة العزل، أمهات يخطفن اللقمة من أيدي أبنائهن، وآباء يغتصبون بناتهم، وحراس يصبحون الخطر الذي يهدد محروسيهم."[٣]

وتحضر مقارنات وتشبيهات عديدة بين الوباء والحرب، فالوباء يفتك كالحرب، وكثرة الضحايا تنسي بعضهم بعضا، وترد الأخبار عن مقابر جماعية، ويتحول الموتى إلى أرقام، والموت يضرب في كل اتجاه "بعد أن تسلح الفيروس بجنون غير مسبوق. البعض يموت بعد فشل الرئتين والبعض يموت فجأة بعد أن تُدمي الهراوات الفيروسية المسَّنة أحشاءه في صمت. كثيرون سقطوا في اليأس، لاعتقادهم بأن الحرب ضد

---

(١) غربة المنازل، القمحاوي، (١٣٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٥٩).

(٣) المرجع السابق ، (٢٠٤).

عدو بهذا الخفاء ضرب من الشعوذة وجهد أخرق يشبه محاولة الإمساك بسحر مربوط على رأس حوت في المحيط. وبدا للبعض أن هذا الوباء الذي فشلت البشرية في القضاء عليه، علامة من العلامات الكبرى للساعة وأحد جرائم المسيح الدجال، بينما اعتقد البعض الآخر أن الفيروس هو الدجال ذاته متخفيا في هذه الصورة التي لم تخطر على بال."[١] ما تكشف عنه كل هذه التوصيفات هو تفشي الهلع الذي يجعل من لم يمت بالفيروس، يسقط في مهالك الخوف.

ولعل العولمة ووسائل الإعلام أسهمت في شيوع هذا الخوف بما تنقله من مشاهد تعزّز الخوف وتنشره في العالم: "تلاحقت الأخبار عن تفلُّت الوباء من قلب الصين إلى أطرافها، ومن أطرافها إلى العالم. وسرعان ما تواترت الأنباء عن نشاط وحشي للفيروس المخادع في الكثير من المدن. أعلنته منظمة الصحة العالمية وباءً، وقد أخذ يتوسع، وبدأ ظهور المسعفين والمُطهرين في كل مكان، وأخذت ومشاهد الدفن تتوالى على شاشة التليفزيون، ثم انطلقت أخبار عن مقابر جماعية لا يرتكبها سفَّاحٌ سرًّا، وإنما حكومات ديمقراطية، بعد أن عجز صناع التوابيت فيها عن تلبية حاجة الأعداد المتزايدة من الناس إلى الموت."[٢]

وضمن سياق هذه الجائحة تظهر مرتبطة بالصين، ما يكشف عن خطابات وتشكيلات جديرة بالفحص والتأمل، وهو ما سيناقشه المبحث التالي.

---

(١) غربة المنازل، القمحاوي، (٢٠٣-٢٠٤).

(٢) المرجع السابق، (٦٠).

المبحث الثالث: مآزق التسمية .. الوباء الأجنبي القادم من بعيد

ترد إشارات مباشرة إلى وباء كورونا في رواية (سيرة حمى) على أنَّه: "مرض الصين" و"حمى الصين"،(١)وتُوصف بأنها "الحمى الصينية"(٢). يأتي الوباء قادمًا من بعيد، حاملًا الرعب والدمار مرتحلًا عبر بلاد فارس "وما أن حلَّ برج الحوت في اثنتي عشرة ليلة خلت منه، إلا وقد ذاع الخبر، وأعلنت بلادنا أنه لا راد للقدر، وأرضنا مفتوحة الأبواب للبشر، إنَّه قادم من بلاد فارس، ناقلا الحمى كالشرر، وتبدأ مرحلة العدوى من السفر، ثم تلاه بعد يومين تصاعد الحمى في جسد رفيقه، ثم تتالي نقل الحمى الصينية عبر بلاد فارس".(٣)

وتبدو فئة من الناس سببًا في نقل هذا الوباء، وتبذل الجهود لمحاولة حصاره وحماية الناس منه "والخوف انتشر من فئة بعينها من دون حارس، وعلل عامة الناس أن ما يجري هو عن قصد مكين، وعلينا الحذر منهم، ومن تفشي حُمى الصين. قال أبو يزيد: «الحمد لله أن الحاكمَ أغلق عليهم بلدتهم، سيحاصرونه وستنتهي الحمى في أرضهم، ولن تصل إلى بلدات أخرى، وسنكون جميعا في أمن، وفي أمان»"(٤)

لكن هذه الجهود لا تلبث أن تفشل؛ إذ إنَّ الوباء لا يقف أمامه شيء، ويبدو قادرًا على الانتقال من مكان إلى آخر حتى يكاد يستحيل الهروب منه أو السيطرة عليه "ثم بعد تسع عشرة ليلة أخرى من برج الحوت، أعلن عن

---

(١) سيرة حمى، (٦٣، ٦٤، ٦٧، ٩١، ١٠٤).
(٢) المرجع السابق، (٦٥، ٩٢).
(٣) المرجع السابق، (٦٣).
(٤) المرجع السابق.

وصول الحمى الصينية عن طريق الرُّحل، وبات الآخرون ناقلين لها، وهي تتفشَّى بين المركبات، والمحطات، ومهاجع ونُـزل الغربـاء والمغتـربين، والمتنقلين بين أصقاع الأرض، والخبر يسرق الخبـر بأنهـا فـي بلـداننا تستشري!

قادمة من الساحل الشرقي بقوة مثيرة، وتعبر البلاد إلى نجد وعاليتها الكبيرة، فاستدعت السلطات الطوارئ، وجهَّزت صالونًا واسعًا يكون منعقدًا خلال أربع وعشرين ساعة؛ من أجل بـلادي، فكانـت القـرارات سـريعة وحاسمة، وهي للشر قاصمة، من أجل الحفاظ على الإنسان بخير وعافية."[١]

ومن أشكال حضور وباء كورونا في رواية غربة المنـازل أن يكـون وسيلة للتأمل في الأوبئة العابرة على امتداد التاريخ والمقارنة بها. فـنلحظ إحالة إلى الطاعون الذي حصد في مصر فـي عـام ٨٣٣هـ آلاف الأرواح، وأشير بأنه مات منه نحو من أربعة وعشرين ألف إنسان في كـل يـوم.[٢] يستحضر الراوي هذا باقتباس مقولة ذائعة صادمة لمورخ مصر ابن إياس:

"بـدأ العطَّـار يستشعر الخوف مـن الـوبـاء، متذكرًا الطاعـون الذي ضرب المدينة المطمورة الآن تحت تلال القمامة على مشارف مدينـة الغُبار.

كانت ثاني أكبر مدن العالم، وأفنى ذلك الوباء مئتي ألف إنسـان مـن سكانها الخمسمائة ألف. وصف مؤرخها قسوة الوباء عليها في ذلك العـام "كان إذا دخـل الـدار يفنيها حتى يعلّقوا مفاتيح الـدار في رجل النعـش".

(١) سيرة حمى، (٦٥).
(٢) انظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن اياس، (٢/ ١٣١).

في تلك اللحظة الحزينة من تاريخ المدينة البائدة ولد المثل "يا وارث مين يورثك" حيث كان الوارث يرحل قبل أن يتسلم ميراثه، وربما يكون وريثه قد سبقه إلى الموت. وبعد قرون عديدة ورثت مدينة الغبار ذلك المثل عن نظيرتها البائدة، يحفظه سكانها حتى الآن عن ظهر قلب ولا يعملون به."(١)

غير أنَّ المهم هنا هو علاقة المشابهة بين وباء كورونا والأوبئة في التاريخ التي يوقن بها العطَّار ويؤكِّد قدومها من الخارج، من مكان بعيد. وهي شبيهة بالغزو، ولذا تقرن بها وتُعدُّ شكلًا من أشكالها:

"- لا شيء تغيَّر.

همس لنفسه إذ تذكر أن [هكذا] الأوبئة تأتي من الشرق، ودائمًا في أقدام الجنود والتجار. الحرب هي السبب. يخوضها الجنود مرغمين، والتجار باختيارهم، وبينما ينخرط الجنود في الموت والتجار في الربح، يتدخل الوباء ليحسم الحرب، أو يتدخل بعد نهايتها ليتمم نصاب الضحايا."(٢)

ولا يختص هذا بمنطقة دون أخرى، بل يبدو عنده سمة للأوبئة، وليس كورونا استثناء منها:

"طاعون أثينا الذي دمرها في القرن الخامس قبل الميلاد، أودى بحياة مئة ألف شخص دخلها من ميناء الإمداد بيرايوس في السنة الثانية من حرب بيلوبينيز بين المدينتين اليونانيتين أثينا وإسبرطة. طاعون المدينة المطمورة تحت مدينة الغبار وصلها في منتصف القرن

(١) غربة المنازل، (٥٤).
(٢) المرجع السابق، (٥٤-٥٥).

الرابع عشر قادما من الشمال، لكنه كان قد سافر في البداية إلى أوروبا مع التجار من آسيا، وبعد أن أتى على نصف سكانها استدار على عقبيه، وضرب الضفة الجنوبية للمتوسط. إنفلونزا العقد الثاني من القرن العشرين التي ابتلعت خمسين مليونا في بعض التقديرات ومئة مليون في تقديرات أخرى، عبرت من آسيا مع الجنود العائدين من الحرب العالمية الأولى التي يقدر عدد ضحاياها المباشرين بسبعة وثلاثين مليونا، وحملت هذه الضربة اسم الدولة الأوروبية التي لم تنخرط في تلك الحرب. [...]

ما حدث في الماضي يصدق على الحاضر، وسوف يصدق على المستقبل: لا وباء دون شدة الجندي وحاوية التاجر. وها هي الحروب على مرمى حجر من مدينة الغبار التي لا تملك من أمرها شيئا، والصين مصنع العالم في السلم والحرب."(١)

أما في رواية ربيع الكورونا فإن الطالب الليبي في جامعة شانغهاي الصينية يسعى إلى النجاة والهروب من الوباء عبر مغادرة الصين حين بدأ بالتفشي فيها، لكنَّه لا يسلم ويصاحبه الوباء إلى تونس التي يتوجه إليها هربًا منه. تبدو الصين منبع الوباء الذي يستدعي غير أهلها إلى الفرار منها ومحاولة النجاة بأنفسهم "وبدأت أغلب دول العالم تجلى رعاياها من بلد الوباء؛ خوفاً من انتقال العدوى إلى شعوبها، وبدأت تلك الدول في عزل مواطنيها العائدين من الصين؛ لمحاولة احتواء الفيروس، ومجابهة الجائحة، والحيلولة دون انتشارها، ولكن من غير جدوى، فقد بدأ الفيروس يتفشى، في مختلف أنحاء العالم."(٢)

---

(١) غربة المنازل، (٥٤، ٥٥، ٥٦).

(٢) ربيع الكورونا، (٣٧).

يظهر في هذه الأمثلة أنَّ جائحة كورونا أجنبية غازية، ترتبط بالصين التي تستحضر بوصفها منبعًا لهذا الوباء، بل وموطنًا للعجائب أحيانًا، كما يقول الراوي في غربة المنازل: "قبل أن تصبح الصين مصدرا للأوبئة كانت دائما موطنا للعجائب. أشجار تلد بشرًا وظباء تُرضع أطفالًا، وقرود تتكلم." [١] واللافت ربط الوباء بمفردات الحرب والغزو ونية الإضرار وهو تصوير له إرث عالمي، كما أوضحنا في التمهيد. وقد يكون باعث هذا التصوير البحث عن كبش فداء يُحمّل مسؤولية الوباء، بيد أنَّ الخطر يكمن فيما قد يقود إليه من عنصرية وتوجيه أصابع الاتهام واللوم إلى فئات محددة. يقود غموض الوباء، وعشوائيته، والشعور بالإجحاف والضرر والهلع إلى البحث عن متهم.[٢]

(١) غربة المنازل، (٦٠).

(٢) انظر نقاش هذه النقطة ضمن سياق الإنفلونزا الإسبانية في:
Viral Modernism, (27-28).

المبحث الرابع: تحديات سرد الوباء

هل يُمثّل سرد الوباء تحديًا؟

أشرنا في التمهيد إلى الإشكالات التي يُمثِّلها سرد الوباء والمرض، وسنتأمل في هذا الجزء بعض مظاهر البناء الشكلي اللافتة في الروايات محلَّ الدراسة.

في رواية سيرة حمى يحضر الجزء الثاني من الرواية بوصفه لافتًا على مستوى الشكل؛ إذ تتداخل فيه أجناس مختلفة ما بين الشعر والقصة القصيرة والسرد التراثي والمقامة، ويأخذ نحو ٦٠ صفحة. يُوظّف اليوسف شكلًا سرديًا تراثيًا (الخبر). يستدعي هذا سؤالًا مهمًا: هل انحياز الكاتب إلى هذا الأسلوب التراثي يعبّر عن انقطاع عن اللحظة المعاصرة واتجاه إلى التراث، كتب التاريخ والأدب، بما يرتبط بها من أساطير وحكايات تبدو قريبة من الخيال، وهو ما ينقل زمن جائحة كورونا بما تحمله من صدمة إلى ذلك السياق الزمني، وقد يكون شكل الخبر مناسبًا لسياق التوثيق التخييلي الذي يستدعيه الروائي. يحضر الشكل السردي التراثي في الرواية وكأنه الأقدر على استيعاب إشكالات تصوير الوباء والوسيلة إلى مقاربتها والتعبير عنها. فالتعبير عن الجائحة وإن كان مواربًا في الجزء الأول من الرواية عبر استحضار الصحراء ومقابلة الوباء بها، إلا أنه هنا يحضر بوضوح، ويصوّر الكاتب أجواء الوباء وآثاره بلغة توثيقة واهتمام بالتفاصيل.

يبدأ هذا الجزء -كما هو شكل الخبر التراثي- بالإسناد:

"حدَّثنا المسعودي قال:

روى أبو الهيثم خالد بن أبي عبدالرزاق أحمد المسعودي وهو مِمَّن يكتب القصص والروايات، ويؤرخ للرجال، وللسّير وللببلوجرافيات، وله في هذا كتب ومصنفات."[١] ويؤدي الإسناد هنا وظيفة سردية مهمة بلفته انتباه القارئ إلى (الرواية) القائمة على النقل، وصيغتها التي تقترب من الإثبات لا الوضع والاختراع.[٢] يشير محمد القاضي أنَّ الإسناد في الخبر الأدبي "وسيلة للمشاكلة (Vraisemblabilisation) أي إيهام القارئ أو السامع بأن الخبر ممكن الوقوع."[٣] وهو ما يُكثِّفه التعريف بالراوي (المسعودي)، حين يُوصف بأنه كاتب ومؤرخ وله كتب ومصنفات، إضافة إلى أنَّ اسم المسعودي يُلمح إلى مدونات التاريخ الكبرى في التراث العربي، ومن أهمها تاريخ المسعودي مروج الذهب. ولعلَّ اللافت أنَّ الاسم الأول (خالد) يتطابق مع اسم الكاتب، بما يُعزّز المشاكلة التي أشرنا إليها ويُوضِّح قصديتها.

يبدو اختيار هذه الاستراتيجية النصية واعيًا ومقصودًا في نصٍ عن الوباء تسعى إلى توثيق أحداثه ويومياته أدبيًا. يُكرّر الرواي في مواضع متعددة وعيه بأهمية دوره التوثيقي: فهي "وثيقة للتاريخ"،[٤] والراوي (كاتب هذا النص في الرواية) يؤكّد بأن الأسلوب هو من فرض نفسه عليه: "لم أختر هذا الأسلوب، ولكن هو الذي فرض نفسه عليّ، ولا أدري لماذا؟ ربَّما لأنَّني أردت أن أكتبَ توثيقًا للتاريخ، وللأجيال القادمة."[٥] ويحضر التوثيق

(١) سيرة حمى، (٦٠).
(٢) الخبر في الأدب العربي، القاضي، (٣٢٧).
(٣) المرجع السابق، (٣١٠).
(٤) سيرة حمى، (١٤٩).
(٥) المرجع السابق، (١٣٢).

بالتأريخ في غربة المنازل عبر عنونة فصول الرواية بتواريخ دالة، على سبيل المثال: "٢ أبريل من العام الأول للخوف"(١)، ما يكشف عن اهتمام بالغ بالإطار الزمني التسجيلي في البناء الروائي.

وإن كان اليوسف قد وظّف الإسناد في روايته، فإنّ المتن كان انتقالًا بين مشاهد تصويرية، يظهر منها الميل إلى تصوير أحداث الوباء ونقله إلى القارئ وتوثيقه. تصوّر المشاهد المتعددة جوانب مختلفة تصبُّ في مجملها في تصوير الأثر الذي أحدثه الوباء في حياة الإنسان في تلك المرحلة الزمنية.

واللافت أنَّ البنية السردية لرواية غربة المنازل اعتمدت على هذا الأسلوب الذي ينتقل بالقارئ من شقة إلى شقة في تلك العمارة التي تحوي شخصيات الرواية. تُصوِّر المشاهد التي تبدو منفصلة ظاهريًا، لكن يظهر الوباء وآثاره بوصفه الناظم لهذه الخيوط المتعددة للشخصيات، وإن اختلفت أحوالهم المادية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية. تدور أحداث رواية غربة المنازل للكاتب والروائي المصري عزت القمحاوي في مدينة الغبار، وهي مدينة تبدو عالقة في برزخ بين الواقع والتخييل ليشفَّ عن إحساس ينقل إلى القارئ الشعور بأزمة يتيحها الوباء بإيقاف الزمن. يأتي هذ التوقف مناسبة لإعادة اكتشاف الذات وإشكالاتها وعلاقاتها مع الآخرين، ويكثّف الكاتب هذا الشعور باستهلاله الرواية باقتباس لافت من ألف ليلة وليلة يصف فيه عبدالله بن فاضل تلك المدينة العجيبة مدينة الأحجار التي مُسخ أهلها وكل ما فيها إلى أحجار استجابة لدعاء وغضب إلهي:(٢)

---

(١) غربة المنازل، (٤٩)، وانظر: (٧، ٢١، ٦٧، ٨٩، ١٠٥، ١٢٧، ١٤١، ١٦١، ١٩٧).
(٢) انظر: الليلة ٩٨٢، ألف ليلة وليلة، (٤/ ٤٣٨)

"ودخلت المدينة فرأيت رجلا واقفا في الطريق فدنوت منه وتأملته فوجدته حجرا، ثم إني لم أزل ماشيا في شوارع تلك المدينة وكلما رأيت إنسانا أدنو منه وأتأمله فأجده حجرا، وقابلت امرأة عجوزا على رأسها عقدة ثياب مهيأة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فوجدتها من الحجر والعقدة والثياب التي على رأسها من الحجر، ثم إني دخلت السوق فرأيت زيانا ميزانه منصوبة وقدامه أصناف البضائع من الجبن وغيره، وكل ذلك من الحجر، ثم إني رأيت سائر المتسببين جالسين في الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت رجالا ونساء وصبيانًا، وكل ذلك من الحجر."

تبدو ثيمة توقف الزمن والتحول محورية في رواية القمحاوي؛ إذ يستثمرها الكاتب لتصوير الفزع والخروج عن المعتاد والتحولات التي جلبها وباء كورونا إلى سكان مدينة الغبار. تشير إليزابيث أوتاكا إلى أنَّ أحد مظاهر أدب وباء الأنفلونزا الإسبانية الذي درسته يتمثّل في "التوقف الزمني" (Temporal disruption).[١] يظهر الشعور بانقطاع الزمن، وتفكّكه، واضطرابه، وتوقفه مرتبطًا بزمن الوباء، ما يعكس الآثار التي يحدثها في كوامن أنفس الشخصيات، وتأثيراته على أفكارهم ومعايشتهم وعلاقاتهم مع أنفسهم ومع الآخرين. ينقسم الوقت إلى ما قبل الوباء وما بعده، وتبدو مرحلة الوباء مرحلة متوقفة جامدة مضطربة مفعمة بالخوف والترقب والانتظار.

---

(١) انظر:

Reconsidering the 1918–19 Influenza Pandemicin the Age of COVID-19, Nichols & *et al.,* (650).

خاتمة

سعت هذه الدراسة إلى رصد تجليات جائحة كورونا في المنجزات الروائية العربية المبكِّرة عن الجائحة من خلال تتبع ثيمة وباء كورونا في النماذج الروائية موضوع الدراسة بوصفها الثيمة المهيمنة، وما تفرّع عنها من ثيمات ترتبط بها دلاليًا؛ بما يكشف عن رؤية مبدعيها تجاه الجائحة والعالم. وسعيًا للتأطير النظري، عَرَضَت هذه الدراسة لإسهامات نظرية تناولت المرض والأوبئة وناقشت أشكال حضورها في الأدب وتباياتها وتفسيراتها. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، يمكن إيجاز أهمّها فيما يلي:

غلب على المنجزات الروائية العربية توظيف الوباء (قبل جائحة كورونا) بوصفه استعارة ورمزًا لتمثيل قضايا أخرى تتصل بالاستبداد والفساد والطبقية، إلا أنَّ روايات جائحة كورونا المدروسة منشغلةٌ بالجائحة في أجزاء كبيرة منها وبتوثيقها أدبيًا، ويبدو فيها سعي حثيث إلى تسجيل آثارها على الإنسان وعلاقته بنفسه وبالآخرين وبالكون. يكشف هذا عن ملمح بالغ الأهمية بما قد يكون إشارة إلى تحولات في استدعاء الوباء وتمثيله في الرواية العربية، بيد إنَّه من المهم التذكير أنَّ هذه روايات مبكّرة صدرت في خضّم الجائحة، فلا يتسنى إطلاق أحكام دقيقة عليها، بل هي مؤشرات يمكن أن تستثمرها دراسات لاحقة.

وبرز جليًا أنَّ جائحة كورونا أثرّت تأثيرًا بالغًا في العالم وفي الإنسان، وقد بدا هذا واضحًا في شخصيات الروايات وفي العلاقات الإنسانية المصوّرة سرديًا؛ إذ كشفت الجائحة عن اغتراب الإنسان وضعفه وقلقه وحذره، وهو

أمر ظهر أنَّ المنجزات الإبداعية المدروسة اهتمت بمقاربته والتعبير عنه، ويتجلى هذا في تفرّع موضوع الموت وتصويره بالمتربص والغامض بما يكشف عن رؤية مبدعيه القلقة من الجائحة وآثارها المروّعة.

وحضر المكان بوصفه مكونًا أساسيًا في المدونة الروائية، إذ تغيرت التصورات الذهنية المرتبطة ببعض الأماكن، فالمنزل المرتبط بالحميمية والأمان أصبح مرتبطًا بالخطر والهلع والخوف، وفي الوقت ذاته برز تجديد العلاقة مع الطبيعة وإعادة اكتشافها والاحتفاء بها.

ويبدو ربط الجائحة بالآخر الأجنبي جليًا في الروايات المدروسة، وهو ما يتفق مع مقاربات نظرية ودراسات لروايات غربية في سياقات أخرى استظهرت هذا الأثر وبيّنته، وهو أمرٌ يبيّن رؤية المبدع لذاته وللآخر في زمن الأحداث الكبرى التي تُعيد تشكيل المفاهيم.

ومع ملاحظة تعسّر سرد الوباء، إلا أنَّ أثر الجائحة امتدَّ إلى البنية الشكلية في الروايات التي ترتبط بدلالات الموضوع المصوّر؛ ويبرز ابتكار الروائيين لاستراتيجيات مختلفة لتصوير زمن الجائحة والتفاعل معها، ما يكشف عن تصورات مبدعيها تجاه العالم.

ومن الظواهر الملاحظة التي برزت في المدونة موضع الدراسة ظهور أثر التفاعل مع التراث السردي العربي القديم باستدعائه وتوظيفه في البناء الشكلي ولطرح أسئلة تستحضر الماضي لكنها تتماسّ مع الحاضر وتعقيده.

ورغم ما بذل في هذه الدراسة من جهدٍ لمقاربة هذه المنجزات الروائية التي قاربت موضوع جائحة كورونا إلا أنَّ أدب الأوبئة عمومًا يظلُّ مستدعيًا لدراسات معمّقة، تستظهر بنيته وتشكيلاته ومضامينه، ويمكن

مقاربته من خلال مناهج نقدية متنوعة بما يُسهم في تجلية حضوره وتوظيفه، ويتوقع أن تظهر روايات كثيرة في المستقبل القريب تُوِّظف جائحة كورونا، ما يستدعي مزيدًا من الدراسة والتحليل والمقارنة بالدراسة الحالية. وضمن هذا السياق تشكّل الدراسة المقارنة بالآداب الأخرى العالمية موضوعًا طريفًا جديرًا بأن يكشف عن مضامين مهمة تتعلق بالمشتركات الإنسانية، وتُوضّح التباينات، ولا سيّما في القضايًا المشتركة التي يتأثر بها الناس باختلاف أجناسهم وطبقاتهم وأوطانهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

- ربيع الكورونا. رشراش، أحمد الهادي. ط١، تونس: منشورات ابن عربي، ٢٠٢٠م
- سيرة حمى. اليوسف، خالد. ط١، الرياض: مركز الأدب العربي للنشر والتواصل، ٢٠٢١م.
- غربة المنازل. القمحاوي، عزت. ط٢، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٢١م.

ثانياً: الكتب العربية

- الاستعارات التي نحيا بها. لايكوف، جورج، وجونسن، مارك. ترجمة: عبدالمجيد جحفة، ط٢، الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠٠٩م.
- ألف ليلة وليلة، مقابلة وتصحيح: محمد قطة العدوي. ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٩م.
- الإنسانيات والرقميات وعصر ما بعد كورونا. كرام، زهور. ط١، عمّان: فضاءات للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور. ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد. تحقيق: محمد مصطفى، د.ط، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، د. ت.
- التفكير البيني: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها. رمضان، صالح بن الهادي. ط١، الرياض: مركز دراسات اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٦ه.
- جماليات المكان في الرواية السعودية. البليهد، حمد. ط١، الدمام: دار الكفاح، ١٤٢٨هـ.
- الجنس الحائر: أزمة الذات في الرواية العربية. أبو هيف، عبدالله. ط١، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٣م

- الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية. القاضي، محمد. ط١، تونس-بيروت: كلية الآداب منوبة ودار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- الرواية العربية والصحراء. صالح، صلاح. ط١، دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٦م.
- سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر. لحمداني، حميد. ط ٢، فاس: مطبعة آنفو – برانت، ٢٠١٤م.
- قضايا الشعر المعاصر. الملائكة، نازك. ط٣، بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٧م.
- لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- لون الغد: رؤية المثقف العربي لـ"ما بعد كورونا". الرفاعي، طالب. ط١، ميلانو: منشورات المتوسط، ٢٠٢٠م.
- مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي. بارجاس، دانيال، وآخرون. ترجمة: د.الصادق بن الناعس بن الصادق قسومة. ط١، الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.
- مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي. بارجاس، دانيال، وآخرون. ترجمة: رضوان ظاظا. ط١، الكويت: عالم المعرفة، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.
- المرض كاستعارة. سونتاج، سوزان. ترجمة: حسين الشوفي، ط١، بغداد: دار المدى، ٢٠٢١م.
- معجم مصطلحات كوفيد-١٩، الجحمري، عبدالفتاح وآخرون. د. ط، الرباط: مكتب تنسيق التعريب بالرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، ٢٠٢٠م

- مناهج النقد الأدبي. وغليسي، يوسف. ط١، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- المنهج الموضوعي: نظرية وتطبيق. حسن، عبد الكريم. ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٠م.
- النقد الموضوعاتي. علوش، سعيد. ط١، الرباط: شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م.
- يغير ألوانه البحر. نازك الملائكة. د. ط، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨م.

ثالثاً: الدوريات العربية

- الأدب في زمن الوباء. خوري، إلياس. مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت. (١٢٣)، ٢٠٢٠م، ص (١٤٢-١٥٩).
- الأدب في مواجهة الأوبئة. كومبانيون، أنطوان، ترجمة: عبده حقي. رابطة الأدب الإسلامي العالمية، م (٢٨)، (١١٠)، ٢٠٢١م، ص (٨٤ – ٨٦).
- ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية: دراسة مقارنة. القللي، محروس محمود عبدالوهاب. مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، الفيوم. م (١٣)، (١)، ٢٠٢١، (٩٤٢-١٠٣٥)
- الفلسفة والجائحة والمرض. بوطيب، رشيد. مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، الدوحة. م (٩)، (٣٥)، ٢٠٢١م، ص (٧ – ١٠).
- قراءة في رواية الوباء. يونس، محمد عبدالرحمن. الموقف الأدبي، دمشق. م (١٦)، (١٨٤)، ١٩٨٦م، ص (٦٤ – ٨٠).
- كارثة كورونا: من المسؤول؟. صالح، هاشم. صحيفة الوطن، السعودية. الخميس ٢٥ يونيو ٢٠٢٠م. عبر الرابط:
https://www.alwatan.com.sa/article/1049224

- ماذا قال الفلاسفة حول جائحة فيروس كورونا. المغربي، عمر. مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، الدوحة. م (٩)، (٣٥)، ٢٠٢١م، ص (١٦٣ – ١٧٤).
- مقاربة معرفية لمعجم مصطلحات كوفيد-١٩: بين ضوابط المصطلح ومقتضيات المفهوم. خليف، عبدالقادر. مجلة الكلم، الجزائر، م (٦)، (١)، ٢٠٢١م، ص (٣٢٤-٣٤٠).

رابعاً: المراجع الأجنبية

- **Amadeo, Pablo, ed. Sopa De Wuhan, ASPO (Aislamiento Social Preventivo y Obligatorio), 2020.**
- **Belling, Catherine. "Overwhelming the Medium: Fiction and the Trauma of the Pandemic Influenza in 1918." Literature and Medicine 28, no. 1 (Spring 2009): 55–81.**
- **Butler, Judith (2020) "Capitalism Has its Limits." Verso, accessed on 18/12/2021, at: https://www.versobooks.com/blogs/4603-capitalism-has-its-limits**
- **Chan, Carol & Strabucchi, Maria Montt (2021): Many-faced Orientalism: Racism and Xenophobia in a time of the Novel Coronavirus in Chile, Asian Ethnicity, 22:2, 374-394,**
- **Charon, Rita. Narrative Medicine: Honoring the Stories of Illness. New York: Oxford University Press, 2008.**
- **Christensen, Allen Conrad. Nineteenth-Century Narratives of Contagion: "Our Feverish Contact." New York: Routledge, 2005.**
- **Compagnon, Antoine (2020) "La littérature face aux pandémies. Fondation." Collège de France, accessed on 26/1/2022, at: https://www.fondation-cdf.fr/2020/04/01/la-litterature-face-aux-pandemies/**
- **Craig, David (2020) "Pandemic and its Metaphors: Sontag Revisited in the COVID-19 era." European Journal of Cultural Studies, 23(6), 1025–1032.**
- **De Paolo, Charles. Pandemic Influenza in Fiction: A Critical Study. Jefferson, NC: McFarland, 2014.**

- **Dictionary of Medical Terms, 4thed, London: A & C Black Publishers, 2004.**
- **Nichols, Christopher, Bristow, Nancy, Ewing, E., Gabriel, Joseph, Montoya, Benjamin, & Outka, Elizabeth (2020). "Reconsidering the 1918–19 Influenza Pandemic in the Age of COVID-19". The Journal of the Gilded Age and Progressive Era, 19(4), 642-672.**
- **Outka, Elizabeth. Viral modernism: The Influenza Pandemic and Interwar Literature. Columbia University Press. 2019.**
- **Pamuk, Orhan (2020) "What the Great Pandemic Novels Teach Us." The New York Times, accessed on 18/1/2022, at: https://www.nytimes.com/2020/04/23/opinion/sunday/coronavirus-orhan-pamuk.html**
- **Scarry, Elaine. The Body in Pain: The Making and Unmaking of the World [1985]. Oxford: Oxford University Press, 2008.**
- **Sontag, Susan. Illness as Metaphor and AIDS and Its Metaphors. New York: Picador, 1990.**
- **Woolf, Virginia. "On Being Ill." New Criterion, January 1926. Reprinted in The Essays of Virginia Woolf, Selected Essays (Oxford World's Classics), Oxford & New York: Oxford University Press, 2009.**

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٨٥٩
٢-	Abstract	٢٨٦٠
٣-	مدخل	٢٨٦١
٤-	التمهيد	٢٨٧٠
٥-	المبحث الأول: اغتراب الذات والمكان	٢٨٨٤
٦-	المبحث الثاني: العدو الخفي والموت المتربِّص	٢٨٩١
٧-	المبحث الثالث: مآزق التسمية .. الوباء الأجنبي القادم من بعيد	٢٨٩٦
٨-	المبحث الرابع: تحديات سرد الوباء	٢٩٠١
٩-	خاتمة	٢٩٠٥
١٠-	قائمة المصادر والمراجع	٢٩٠٨
١١-	فهرس الموضوعات	٢٩١٣

تم بحمد الله